روايات مصرية للجيب

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسى .
يصارع للحفاظ على حياته .
والحفاظ على سلامة عقله .

حالة الفراشة السوداء

Looloo
www.dvd4arab.com

4

مقدمة

من منا لم يحتج إلى شخص يتكلم إليه بحرية فينصت له باهتمام ؟ من منا لم يحتج إلى أخ ليشاركه همومه ومشكلاته ؟ من منا لم يحتج إلى صديق مخلص يسديه النصيحة ؟ من منا لم يحتج إلى طبيب نفسى ؟

أعرفكم بنفسى .. د. (ياسين العوضى) .. استشارى الطب النفسى وعضو الاتحاد العالمى للصحة النفسية .

ستلتقون معى فى كل عدد مع حالة نفسية كنت أعالجها وكانت لى جلسات معها .. ستعتادون على هذه الجلسات العلاجية .. وربما تدمنونها ..

إن النفس البشرية أعقد من أن نفهمها على مر العصور .. وهذه السلسلة هى محاولة متواضعة لتأكيد هذا المضمون .

بالنسبة لاسم السلسلة فأنا أرى أنه مناسب ؛ لأنى أتحدث عن حالات خاصة بالفعل .. ولأن معظم هذه الحالات يبدءون حديثهم بجملة : « أنا حالة خاصة جدًا يا دكتور » .. وكأنهم جاءوا ليدهشونى فقط ، وليس أملاً فى الشفاء ..

سنتعرف - بإذن الله - من خلال هذه السلسلة على الأمراض النفسية .. سنتكلم عن الأعراض العضوية والأعراض النفسية .. ونتناقش فى طرق العلاج ..

سنتحدث عن الهلاوس .. هل تسمع هذا الصوت المخيف ؟ هل ترى هذه الفتاة العرجاء ؟ هل تشم هذه الرائحة الزكية ؟ هل تجلس بجوارى الآن ؟

سنحاول تفسير أحلامنا بوجهة نظر نفسية .. سنجيب سؤال : لماذا حلمنا بذلك ؟

سنحلل العقد النفسية .. من هو (أوديب) ؟ هل سمعت عن (إلكترا) ؟

سنسألك عن الفوبيا (Phobia) ؟ هل قرأت عن البارانويا (Paranoia) ؟

هل تعانى من الوسواس القهرى ؟

هل تتحدث أثناء نومك ؟ هل تسير أثناء نومك ؟ هل تنام بكثرة ؟ لماذا لا تستطيع النوم ؟

سنتأمل الحيل الدفاعية .. لماذا نمارسها بكثرة ؟ هل هى صحية ؟

وسنعرف الكثير عن الصراعات النفسية .

سنتساءل فى حيرة : من أنت ؟ هل (أنت) كما ترى نفسك ؟ أم (أنت) كما تريد أن تكون ؟ أم (أنت) كما يراك الآخرون ؟ أم (أنت) شخص آخر ؟

ستكتشف أنك لست وحيداً .. هناك (الأنا) و(الهو) و(الأنا الأعلى) .

ستعرف كيف تتعامل مع الآخرين ؟ كيف تفهم الآخرين ؟..

وقبل كل ذلك سنساعدك لكى تفهم نفسك ؟

أيكفى ما قلته ليكون مقدمة ؟ فلنبدأ القراءة إذن .. ولكن مهلاً ..

يجب أن تعلموا من البداية أننى لن أستخدم الأسماء الحقيقية للمرضى ؛ لأنه لا يجب أن أصرح باسم الحالة ..

إن الطبيب النفسى يجب أن يحافظ على أسرار مرضاه وعلى شرف مهنته كأى طبيب آخر ..

و ... كأى صاحب مهنة أخرى .

د. ياسين العوضى

1 ـ الزائرة ..

كانت الساعة الثامنة مساءً عندما سمعت طرقات على باب منزلى ..

نهضت من سريرى لأفتح الباب وأرى ذلك الزائر الذى قرر زيارتى فجأة فى هذه الساعة .

كنت عائدًا لتوى من العيادة بعد يوم شاق .. لقد شعرت بإرهاق شديد فاعتذرت للمرضى وهرعت إلى شقتى طلبًا للراحة ولكن ..

يبدو أن مهنة الأطباء لا تعرف هذه الكلمة .

أين هى (الراحة) ؟

لم تمر ربع ساعة على استرخائى فى السرير وأفاجأ بهذا الجرس اللعين جاء ليحطم كل آمالى فى النوم والراحة والهدوء التام .

من هو ذلك الزائر ؟ من ؟

فتحت الباب فرأيت وجهها .. ذلك الوجه أعرفه جيدًا .. ولكنى لم أره منذ مدة .

حاولت أن أرسم ابتسامة ترحيب على شفتى ولكنى فشلت .. فحاولت أن أعبر بالكلام فقلت :

ـ أهلاً .. كيف حالك ؟

ـ الحمد لله

ـ تفضلى .

ـ آسفة يا دكتور .. على هذه الزيارة المفاجئة .

ـ لا عليكِ .

ـ لقد ذهبت إلى العيادة وأخبرونى هناك أنك هنا وأعطونى العنوان .

قلت بهدوء محاولاً كتمان غضبى من ذلك الممرض الذى يعطى عنوان منزلى لكل من يقابله :

ـ تفضلى .. لن تظلى واقفة هكذا بالخارج .

قالت السيدة (نرجس) لى وهى لا تزال واقفة أمام شقتى :

ـ إن المسألة حرجة جدًا يا دكتور ولا تحتمل التأجيل ولهذا اضطررت إلى زيارتك هنا فى منزلك .

ـ هل تعانين من أى مشاكل ؟

ـ لا .. إنها (ماجدة) يا دكتور .. (ماجدة) .. ابنة أخى .

آه .. المريضة هى السيدة (ماجدة)(*) .. سيدة الأحلام .. الفراشة السوداء .

وأنا الذى اعتقدت أن عمتها جاءت تزورنى فى هذه الساعة لأنها هى المريضة .. لم يخطر ببالى أن ابنة أخيها ستكون مريضة عندى مرة أخرى .

قلت للسيدة (نرجس) :

ـ وما بها ؟

ـ مسألة الكوابيس .

مرة أخرى .. لقد اعتقدت أنها شفيت من هذا الأمر ولم تعد تفكر فيه .

ـ لا .. للأسف .

ـ وهل مازالت ترى أن كوابيسها تتحقق ؟

ـ المسألة أخطر من ذلك .

ـ ما الذى تعنيه ؟

(*) راجع العدد الأول (حالة الحاسة السادسة) ..

ـ لن أستطيع وصف حالتها لك .. لذا أرجو أن تأتى معى لتراها بنفسك .

ـ لكن ...

ـ أرجوك .

ـ المسألة إننى ..

ـ كنت أود أن أشرح لها مدى إرهاقى و ... و ...

ـ أرجوك يا دكتور .

هل يمكن أن ..

ـ كنت أود أن أقترح عليها تأجيل هذه الزيارة للغد ، فربما أستعيد عافيتى بعد نوم كاف عميق .. ولكنها قاطعتنى لتمنعنى من هذه الاقتراحات الوردية .

ـ أرجوك .. أتوسل إليك .

ـ لا داعى لذلك .. سوف آتى معك .

ـ شكرًا .. شكرًا يا دكتور .. لن أنسى لك هذا أبدًا .. صَدَقَ من قال إنك ..

لم أسمع بقية جملتها فقد دخلت إلى غرفة نومى لأغير ملابسى وأستعد للخروج .

وفى خلال دقائق بسيطة كنت جاهزًا لأغلق باب شقتى وأتجه مع السيدة (نرجس) إلى شقة ابنة أخيها .. السيدة (ماجدة) .

* * *

وصلنا هناك فى مدة بسيطة .. فسيارة السيدة (نرجس) كانت سريعة والطريق كان خاليًا تقريبًا .

لقد أصرت على أن أركب معها فى سيارتها رغم تأكيدى لها أنى أملك سيارة وبها ما يكفى من الوقود .. ولقد أصرت أيضًا على أن تتولى مهمة القيادة رغم تأكيدى لها أن لدى رخصة قيادة .

لن أنكر لكم فرحى بإصرارها الزائد عن الحد ، فقد كنت فى حالة إرهاق شديد تجعلنى غير مؤهل للقيادة أبدًا .. ويكفى أنى سأعتمد على نفسى فى السير دون مساعدة من أحد .

وصلنا إلى الشقة وفتحت السيدة (نرجس) بابها ، ودخلنا .. ثم استأذنت و دخلت إحدى الغرف لتحضر ابنة أخيها .. السيدة (ماجدة) .

طبعًا من قرأ منكم (حالة الحاسة السادسة) يعرف هذه السيدة جيدًا ..

أما البقية الذين لا يعرفون عنها شيئًا فأقول لهم ببساطة : إنها سيدة تحلم ..

وترى أن أحلامها تتحقق .. تعتقد أن لديها (حاسة سادسة) تمكنها من رؤية المستقبل عن طريق الأحلام .

المشكلة أن أحلامها تتحقق بالفعل ..

ولقد رأيت هذا بنفسى وكدت أصدق أن لديها هذه الموهبة لولا أنى اكتشفت الحقيقة .. لقد كانت أحلامها تتحقق بفعل فاعل .. والفاعل هو زوجها الأستاذ (وليد) .. رجل الأعمال .. الذى أراد أن يكون وصيًا على ممتلكاتها وطبعًا لن يحدث ذلك إلا إذا كانت مجنونة وهكذا خطط لدفعها إلى الجنون .. اكتشف أنها

ستزداد جنونًا كلما تحقق حلم تراه .. فقرر أن يحقق أحلامها بنفسه حتى لو اضطر إلى القتل .

فى النهاية .. أخبرت زوجته المخلصة البريئة بخطته الدنيئة ، فساعدتنى فى القبض عليه عن طريقة خطة عبقرية .

واعتقدت وقتها أن موضوع الأحلام انتهى إلى الأبد بالقبض على منفذها ..

ولكنى أكتشف الآن أننى كنت مخدوعًا .

سمعت صوت السيدة (نرجس) من الداخل تقول :

ـ لقد أحضرت لك مفاجأة .

من الواضح أنها تخاطب السيدة (ماجدة) ابنة أخيها .. فأنا أعلم جيدًا أنهما تعيشان وحدهما .. فبعد القبض على الزوج القاتل قررت السيدة (نرجس) ألا تترك ابنة أخيها تعانى من الوحدة .. وهكذا انتقلت للعيش معها .

سمعت صوتها من جديد و ...

ـ هل تعلمين من الذى يجلس بالخارج ؟ أغمضى عينيكِ .. إنها مفاجأة .

وبعد ثوان معدودة ظهرتا لى .

السيدة (نرجس) بالملابس التى رأيتها عليها منذ قليل ، أما السيدة (ماجدة) فكانت ترتدى ملابس سوداء .. طبعًا ليس حدادًا على أحد .. إن من يعرفها جيدًا يعلم السبب .. إنها تعشق اللون الأسود .. تعشقه جدًا .. لذا تجد ملابسها سوداء دائمًا ولهذا لقبتها يومًا بـ (الفراشة السوداء) .

ولكنى أقنعتها من قبل بتركه وعاشت فترة من دونه .. ما الذى حدث لها ؟

كانت السيدة (نرجس) تغطى عينى السيدة (ماجدة) بيديها وتساعدها فى السير حتى لا تصطدم بشىء ..

يبدو أنها تعتبرنى (مفاجأة) حقًا .

أنا متأكد أننى لست مدعوًا على حفل عيد ميلاد ، والأهم أننى متأكد أننى لا يمكن أن أكون أبدًا هدية مفاجئة ومبهجة لأحد ..

عدا خطيبتى طبعًا .

قالت السيدة (نرجس) بعد أن أصبحت السيدة (ماجدة) أمامى مباشرة :

ـ سأعد لثلاثة .. وافتحى عينيكِ بعدها .. اتفقنا ؟.. واحد

هذا الجو المرح لم أتوقعه هنا أبدًا .. خاصة بعد المشهد التراجيدى الذى رأيته منذ قليل أمام شقتى .

ـ اثنان ؟

أتساءل الآن : كيف سيكون رد فعل السيدة (ماجدة) عندما ترانى الآن .. أمامها .. فى شقتها ؟

ـ ثلاثة .. و... افتحى عينيكِ .. ترارااااا

وفتحت السيدة (ماجدة) عينيها ورأتنى .. فانزعجت بشدة وصاحت :

ـ أنت .. أنت .. لماذا جئت ؟ اخرج .. اخرج .

توقعت أن تهدئ السيدة (نرجس) ابنة أخيها ..

ـ أو تقوم بالاعتذار لى عما بدر منها .. ولكن رد فعل السيدة (نرجس) كان مختلفًا تمامًا عما توقعته أو تمنيته .

لقد قالت وهى تصفق بيديها بمنتهى السعادة :

ـ الحمد لله .. أخيراااا .

لحظة ! لا أفهم شيئًا .. ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟

* * *

2 ـ الفراشة الخرساء ..

استرخت السيدة (ماجدة) على الأريكة وهى تردد باكية :

ـ لماذا جئت ؟ لماذا جئت ؟

أما السيدة (نرجس) فمازالت تصيح بكل سعادة :

ـ أحمدك يارب .. الحمد لله .

ومازلت أنا لا أفهم ما يحدث أمامى .. فقلت موجها حديثى للسيدة (ماجدة) التى لم تتوقف بعد عن البكاء :

ـ أنا لا أفهم شيئًا .. أنت تطردينى من منزلك .. لماذا ؟ ما الذى فعلته لك ؟

ثم استدرت إلى السيدة (نرجس) وقلت غاضبًا :

ـ وأنتِ .. هل أنتِ سعيدة بطردها لى .. إن كان طردى يبهجك هكذا فأنا سأنصرف الآن .

قالت السيدة (نرجس) وقد تلاشت ابتسامتها :

ـ لا يا دكتور .. لا تنصرف أرجوك .. على الأقل لا تنصرف قبل أن أشرح لك موقفى وأفسر لك سر سعادتى .

ـ تفضلى .

أنا لست سعيدة بما قالته ولكنى سعيدة أنها قالته .

هل تعتقد السيدة (نرجس) أنها بهذه الطريقة توضح الأمور .. سألتها باقتضاب :

ـ ماذا ؟

ـ يا دكتور .. أنا سعيدة أنها تكلمت أخيرًا .. إنها لم تتحدث معى منذ أيام عديدة .. تجلس صامتة طوال الوقت .. تمارس حياتها بطريقة عادية ولكن بصمت .. صمت .. صمت .. حتى أنها لا تقول لى (صباح الخير) أو (تصبحى على خير) .

ـ وهل أحضرتنى إلى هنا من أجل أن تقول لكِ (صباح الخير) ؟.. ألم يخطر ببالك احتمال أنها غاضبة منك لسبب ما ومن أجله خاصمتك ؟

ـ لا .. المسألة ليست كذلك .. إنها تتعلق بموضوع الكوابيس المزعجة التى تراها .

لمحت بعينى السيدة (ماجدة) تنظر بغضب إلى عمتها وهذا يعنى أن عمتها كانت على حق .. ورغم غضبها لم تحاول منعها أو التفوه بكلمة .. يبدو أنها عادت لحالة الصمت التى كانت عليها .. والتى تحدثت عنها السيدة (نرجس) .

ـ حالة الصمت هذه لها علاقة بالكوابيس .. إنها تستيقظ فى ليالٍ كثيرة مفزوعة .. بسبب رؤيتها لكوابيس مريعة أثناء نومها وكلما طلبت منها أن تحكى لى ما تراه كانت ترفض رفضًا شديدًا .. فاقترحت عليها زيارتك فى العيادة لعلك تجد علاجًا لها لكنها رفضت تمامًا .. ومنعتنى من التحدث فى الموضوع مرة أخرى .

ـ هل أخبرتك بهذا بلغة الإشارة ؟

ـ لا .. كانت تتحدث وقتها .

ـ حسنًا .. متى جاءتها حالة الخرس ؟

تأملت السيدة (نرجس) ابنة أخيها التى تجلس جوارها وربتت على كتفها قائلة :

ـ فى إحدى الليالى استيقظت على صراخ المسكينة .. كانت تصرخ بقوة و كأنها رأت كابوسًا رهيبًا أشد من أى كابوس رأته من قبل .. حتى إن صرختها استمرت لفترة بعد استيقاظها ولقد سمعها الجيران فجاءوا مذعورين إلى الشقة ليستفسروا عن السبب .. لقد اعتقدوا أن ...

قاطعتها قائلاً :

ـ هل سألتها عن الكابوس الذى رأته ؟

ـ نعم ولكنها لم تحكه لى .. وهذا شىء متوقع .. إن كانت ترفض التحدث عن الكوابيس السابقة فهل تتوقع أن تتحدث عن أسوأ كابوس رأته فى حياتها ؟!

ـ وطبعًا ترفض التحدث عن الكوابيس خشية أن تتحقق .. مازالت ترى أنها تتحقق بسبب سردها لها .

فوجئت بالسيدة (ماجدة) تنظر لى بدهشة والغضب يشتعل فى عينيها و كأننى نفيت نظرية شهيرة مسلم بها .. وكأنها تقول (كيف تنفى أمرًا أنت أدرى الناس به)

المشكلة أنها على حق ..

لو لم تحك كوابيسها من قبل لما تحققت .

لقد راح ضحية كوابيسها أشخاص عديدون .. منهم الكاتب الصحفى الشهير .

ومنهم أعز أصدقائى ..

وكادت خطيبتى أن تلقى مصرعها بسبب هذه الكوابيس اللعينة .. لولا أننا جئنا فى اللحظة الأخيرة واستطعنا إنقاذها من يد القاتل المأجور (زكى) .

قالت السيدة (نرجس) :

ـ ومنذ تلك الليلة ترفض التحدث تمامًا .. أصبحت خرساء فجأة ، ولهذا قررت المجىء لك لعلك تستطيع علاجها .

* * *

ـ والحمد لله لقد تحدثت أخيرًا .. ألف شكر لك يا دكتور .

لا أعرف ما الذى فعلته بالضبط لأستحق كل هذا الشكر .. لقد فوجئت الفراشة السوداء بى أمامها فصاحت منزعجة لتطردنى .. رأت أن الطرد بالإشارة فقط لن يجدى معى .. أو سأفهمه بصعوبة .

قلت محاولاً الابتسام :

ـ حسنًا .. لقد تحدثت والحمد لله .. هل يمكننى الانصراف الآن ؟

صاحت السيدة (نرجس) :

ـ لا طبعًا يا دكتور .. سأعد كوبى عصير بينما تجلس أنت معها .. ربما تخبرك بما لم ترد إخبارى به .

ودون أن تتلقى ردًا أو تعليقًا سواء منى أم من ابنة أخيها أسرعت إلى المطبخ لتعد العصير .. وتترك فرصة للطبيب ليتحدث مع مريضته .

لم تكن تعلم السيدة (نرجس) أن محاولتها ستفشل .. وأن غيابها فى الداخل لمدة ساعة سيكون دون جدوى .. فابنة أخيها كانت مصرة على الصمت ، ولقد حاولت معها بكل الأساليب العلمية وغير العلمية لحثها على التفوه ولو بكلمة .. لكن من الواضح أنها تكتم شيئًا رهيبًا لا تريد البوح به ، وتخشى أن مجرد التحدث قد يقودنا إليه ، فضلت الصمت تجنبًا لأى احتمالات مخيفة .

فى النهاية ناديت على السيدة (نرجس) بعد يأسى من المحاولة ، ففوجئت بها تظهر من الداخل حاملة كوبين من

العصير .. يبدو أنها أعدتهما منذ زمن ولكنها خشيت أن تقطع الجلسة بتقديمهما ولا أستبعد أن تكون قد سمعت كل ما قلته هنا .

قلت لها ساخرًا وأنا أتناول كوب العصير :

ـ ساعة !.. لو أخبرتنى أنك ذهبتِ إلى الحقل لتنتقى الثمار الجيدة بنفسك لتعدى منها هذا العصير لما كذبتك .

ـ لقد خشيت أن أقطع الجلسة .

ـ أعلم .. كنت أمزح فقط .

ـ هل أخبرتك بشىء ؟

رغم أننى أعلم جيدًا أنها تعلم إجابة سؤالها جيدًا قلت :

ـ لقد ظلت صامتة .. لذا أقترح أن تزورانى فى العيادة لأحاول معها مرة أخرى .

ـ سنفعل يا دكتور .. إن شاء الله .

بعد دقائق كانت السيدة (نرجس) تسبقنى لكى تُخرج سيارتها من الجراج لكى توصلنى إلى منزلى الحبيب .

وبينما أنزل الدرج وراءها فوجئت بمن يهمس باسمى فالتفت لأجد السيدة (ماجدة) تقف أمام باب شقتها وتسألنى هامسة :

ـ هل هرب زوجى ؟

صعدت متحمسًا وقلت :

ـ لقد تحدثتِ أخيرًا .

وجدتها تنظر لأسفل .. يبدو أنها تتأكد أن عمتها بعيدة لا تسمعها .. ثم قالت :

ـ لقد حلمت .

كدت أقول (هذا شىء معروف للجميع) ولكنى فضلت الصمت .. لقد كانت صامتة منذ قرون فلأصمت أنا الآن وأترك لها مجالاً للحديث .

ـ لقد حلمت بهروب الطباخ .. حلمت أننى تركت باب المطبخ مفتوحًا ، فهرب الطباخ .. أخبرنى الحقيقة يا دكتور .. هل هرب زوجى ؟

- لا .. ولكن هل هذا هو الحلم الذى جعلك تصرخين بأقصى ما ...

قاطعتنى قائلة :

- طبعًا لا .. لن أقص هذا الحلم الفظيع أبدًا .

- لماذا ؟

- أحقًا لا تعلم السبب ؟!

- حسنًا .. إن كنت تخشين أن تتحقق أحلامكِ لأنكِ تقصينها .. فلماذا قصصت علىّ حلم هروب الطباخ ؟

- كنت أريد أن أعرف هل تحقق أم لا ؟

- على حد علمى لا .. لقد دخل زوجك السجن بعد أن تم الكشف عليه وتبين أنه سليم عقليًا .. لا أعرف كيف .. ولكن هذا هو ما حدث فتم تحويله إلى السجن لينال جزاءه .. هل اطمأننت الآن ؟

- لا .

- لماذا ؟

- لأنى أعلم جيدًا أنه سيهرب ، وإن هرب فقد تحقق حلم هروبه .. وإن تحقق فكل كوابيسى الأخرى ستتحقق .. فكيف أطمئن ؟!

- لن تتحقق كوابيسك .. لقد قُبض على محققها .. فكيف ستتحقق ؟

- إذا هرب فسوف يحققها ، ولن أطمئن إلا إذا ..

وتوقفت فكان لابد أن أسألها :

- إلا إذا ماذا ؟

- إلا إذا مات .

لم أجد شيئًا أقوله .. أما هى فقالت بتوسل :

- أرجوك .. اقتله يا دكتور .. اقتل الطباخ .

* * *

3ـ أحـلام فراشـة ..

ـ « ما الذى تقولينه ؟ »

قلت هذه الجملة بغضب للسيدة (ماجدة) ، فردت قائلة :

ـ إنك بهـذا تخدم البشرية .. لو قتلته ستمنع جرائم كثيرة من الحدوث .

قلت ساخرًا :

ألا توجد طريقة أخرى لخدمة البشرية ؟

ـ« دكتووووور ياااااسين .. »

جاءت صيحة السيدة (نرجس) من أسفل لتقطع حديثى مع ابنة أخيها السيدة (ماجدة) ، فنزلت الدرج بسرعة ، ففوجئت بالأخيرة تقول :

ـ أرجوك نفذ مطلبى .

قلت لها بهدوء :

ـ سأنتظر زيارتك لى فى العيادة لنتحدث .

عندما وصلت للسيدة (نرجس) سألتنى :

ـ ما الذى قالته لك ؟

ـ لا شىء .. كلام عادى .

ـ ما هو المطلب الذى طلبته منك ؟

يبدو أن حاسة السمع لديها قوية جدًا .. الآن علمت لماذا لم تتحدث السيدة (ماجدة) معى إلا عندما هبطت عمتها إلى الدور الأول .. قلت ببساطة :

ـ طلبت كتب مسلية لتقرأها .

شعرت السيدة (نرجس) أنى أكذب عليها .. فقالت :

ـ د. (ياسين) .. إن كان هناك أى شىء يخص (ماجدة) تريد أن تخبرنى به .. أرجوك لا تتردد وأخبرنى به على الفور .

بالتأكيد سأفعل .

ركبت السيارة بجوارها وعقلى يفكر فى حلم هروب الطباخ ومسألة الكابوس الآخر .. الكابوس الذى لم تر السيدة (ماجدة) أفظع منه .

تُرى ما الذى حلمت به ؟

* * *

جاءتنى السيدة (ماجدة) العيادة .. بعد تلك الليلة بيومين .

فى الواقع لم أتوقع هذا .. وعندما أخبرنى الممرض أنها تنتظر بالخارج اعتقدت أنى سمعت اسمها خطأ ، ولكنه أكد لى ما سمعته .. فطلبت منه أن يدخلها .

ولم تمر دقيقة حتى كانت تقف أمامى وتمد يدها لتسلم علىّ .. قلت لها :

ـ كيف حالك ؟

ـ عادى .

ـ وأين عمتك ؟ هل تنتظرك بالخارج ؟

ـ لا .. لقد جئت وحدى .. هل أحتاج إلى شخص بالغ ليرينى الطريق ؟

ـ لم أقصد ذلك ولكن ..

ـ دكتور .. لا داعى لإضاعة الوقت .. لقد جئت لأسألك سؤالاً .

ـ استريحى أولاً .

ـ لا .. لن أستريح قبل أن تجيبنى : هل نفذت مطلبى ؟

ـ أى مطلب ؟ هل طلبتى منى أى شىء ؟

اقتربت منى وقالت هامسة :

ـ أن تقتل الطباخ .

قلت ساخرًا :

ـ أقتل الطباخ ! هل كان الطعام سيئًا إلى هذه الدرجة ؟ أم كان مسمومًا ؟

قالت غاضبة :

ـ أنا أعنى زوجى .

ـ وهل زوجك يعمل طباخًا ؟.. وهل مازال زوجك ؟!

ـ نعم .. لم يطلقنى بعد .. وسؤالى هو : هل قتلته ؟

قلت لها ساخرًا :

ـ للأسف مشغول جدًا هذه الأيام فى العيادة .. ليس لدىّ أى وقت فراغ لأمارس فيه هوايتى المفضلة .. القتل .

ـ هل تمزح يا دكتور ؟

ـ لا .. أنا أعدك عندما أجد الوقت المناسب سوف يكون زوجك أول شخص أقتله .. سأضعه على رأس القائمة عندما أعود لمزاولة نشاطى الترفيهى .

ـ ضربت سطح المكتب بقبضتها وقالت غاضبة :

ـ يبدو أن كوابيسى ستتحقق من جديد .

ـ اهدئى من فضلك .. لا أريد هذه العصبية .

ـ كيف أهدأ وهذا القاتل حر طليق ؟!

ـ أتقصدين زوجك ؟.. من قال أنه حر طليق ؟

ـ ومن أدراك أنه لم يهرب ؟

ـ حسنًا .. يمكننا التأكد من هذه النقطة .

وأجريت اتصالاً ...

* * *

ـ « زوجك لم يهرب .. هل اطمأننت الآن ؟ »

قلتها وأنا أضع السماعة ، فقالت :

ـ لا .

ـ لماذا ؟ ألم تسمعينى وأنا أتحدث فى الهاتف الآن ؟

لم ترد .. فقلت لها بلهجة حاسمة :

ـ هل تحبين القيام بزيارة إلى السجن لتريه بنفسك ؟

صمتت للحظات مفكرة .. ثم قالت :

ـ حتى ولو أنه لا يزال موجودًا فى السجن .. من يضمن لى أنه سيظل كذلك ؟ ربما يهرب فيما بعد .. كما حدث فى الحلم .

ـ يا سيدتى .. إن الذى هرب فى الحلم هرب من المطبخ وليس من السجن .. وكان طباخًا وليس زوجك .

ـ يا دكتور .. أنت تعلم جيدًا أن الطباخ فى أحلامى هو زوجى ولقد رأيت بنفسك أن أحلامى تتحقق .. لا أعلم لماذا تنكر هذه الحقيقة الآن ؟

ـ أحلامك كانت تتحقق بفعل فاعل وطالما أن هذا الفاعل فى السجن فإنها لن تتحقق .

ـ يجب أن تعلم جيدًا يا دكتور .. أن أحلامى تتحقق سواء بفعل فاعل أو لا .. أنا لدىَّ هذه الحاسة السادسة ، ولسوف تؤكد لك الأيام ما أقوله .

ـ أنت لا تملكين حاسة سادسة أو سابعة .. كل ما فى الأمر هو أن زوجك كان يستمع إلى أحلامك ثم يحققها .

ـ إن حديثك نفسه يؤكد أن أحلامى تتحقق .. بغض النظر عن طريقة تحقيقها .

ـ حسنًا .. هناك أيضًا أحلام لم تتحقق .. أنا مثلاً .. مازلت حيًا أرزق رغم أنك حلمتى بموتى .. وهناك أيضًا ..

ثم توقفت .. بترت جملتى ، فانتبهت السيدة (ماجدة) لذلك وقالت بكل مكر وخبث تمتلكه :

ـ أكمل يا دكتور .. كنت ستقول (خطيبتك) .. ولكنك لا تريد تذكيرى بها حتى لا أحلم بها مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

لم أرد .. أما هى فتابعت قائلة بخبث :

ـ أهذا يعنى أنك تخشى أحلامى ؟

فى الواقع هذا هو ما فكرت فيه بالضبط .. خشيت أن أذكر خطيبتى أمامها .. ففى المرة التى ذكرتها أمامها .. حلمت بموتها ، ثم أخبرت زوجها بالحلم فاستأجر قاتلاً لتنفيذه .

أكملت السيدة (ماجدة) قائلة بضيق ، وكأنها قرأت أفكارى :

ـ ولهذا فضلت الصمت فى الفترة الماضية يا دكتور .. كنت أخشى أن أخبر أحدًا بأحلامى فيذهب لتنفيذها أو ...

أو ... ماذا ؟

ـ أو .. ربما تتحقق أحلامى بمجرد أن أسردها .

قلت لها بهدوء محاولاً إقناعها :

ـ لم تتحقق كل أحلامكِ ، وهذا يجعلكِ على يقين أنها لا تتحقق بمجرد سردها .. ويجب أن تعترفى بأنكِ لا تملكين أى حاسة خارقة .. إنها مجرد جرائم قام بها زوجكِ لينفذ خطة دنيئة

هدفها إدخالكِ مستشفى الأمراض العقلية ، ولقد انتهت الخطة بدخوله السجن .. لذا لن تتحقق أحلام بعد الآن .

صمتت قليلاً ثم قالت :

ـ لا فائدة .. مازلت على عهدك القديم يا دكتور .. مازلت لا تؤمن بموهبتى اللعينة .

ـ أنتِ لا تملكين أى موهبة أو حاسة سا ...

قاطعتنى قائلة بكل الغموض :

ـ لقد تحققت أحلام كثيرة بعد دخول زوجى السجن .

قلت مندهشًا :

ـ ماذا ؟

ـ ولم أروها لأحد .

ـ ماذا ؟

ـ لن أحكى لك الأحلام البسيطة التى تحققت مثل حلم الباب والكلب الأسود والدمية والتلفاز .. إلخ أو الأحلام التى لم تتحقق

بعد .. مثل حلم المصباح والغراب .. لن أحكيها لك لأنك ستستهين بها حتى لو رأيتها تتحقق أمامك .. لذا سوف أحكى لك اليوم الكابوس الذى لم أر أفظع منه .. كابوس شنيع .. مريع .. واحذر أن يقشعر بدنك من هول ما ستسمع .. أو أن يشيب شعرك مما سأقوله .

هل التاريخ يعيد نفسه أم إننى أتوهم ذلك ؟.. لقد سمعت هذا الكلام من قبل وكأن التاريخ يعيد نفسه .. قلت لها وقد استحوذت على انتباهى بحديثها المريب :

ـ هل تقصدين الكابوس الذى رأيتيه وبعدها لم تتحدثى مع عمتك ؟

ـ بالضبط .

ـ ولماذا تريدين أن تقصيه علىّ الآن ؟

ـ لأن عمتى ليست هنا الآن .

ـ ألا تخشين أن يتحقق بمجرد أن تقوليه ؟ أليست هذه نظريتك ؟

ـ نعم .. أخشى ذلك جدًا .. أخشى أن يتحقق مثل حلم صديقك ولكنى سأرويه حتى تمنع حدوثه كما فعلت مع حلم خطيبتك .

ـ ترويه لى لكى أمنع حدوثه !

ـ بالضبط .. سأرويه لك وستساعدنى بمنع حدوثه .

ـ سأحاول إن كان بامكانى هذا ولكنك لم تخبرينى بعد من الذى سيموت هذه المرة .. هل هو شخص أعرفه ؟

ـ نعم يا دكتور .. شخص تعرفه تمامًا .

ـ من ؟ خطيبتى ؟

نظرت لى وقد لاحظت قلقى وانزعاجى .. صمتت للحظات ثم ابتسمت ابتسامة غامضة جعلت قلبى يسقط عند قدمى .. ثم قالت بهدوء الأفاعى :

ـ هل تحبها إلى هذا الحد يا دكتور ؟

سألتها وأنا أخشى أن يتوقف قلبى فى هذه اللحظة :

ـ هل هى فعلاً ؟

عادت لتبتسم من جديد ثم قالت :

ـ لا يا دكتور .

تنفست الصعداء وعاد الدم يكمل سيره فى عروقى .. ثم سألتها من جديد :

ـ من إذن ؟

ـ لو كان الحلم يتعلق بخطيبتك .. لماذا قلقت هكذا ؟ ألم تقل أن أحلامى لا تتحقق ؟

قلت بهدوء :

ـ لقد عانت خطيبتى من أحلامكِ مرة .. لا أريدها أن تعانى مرة أخرى .

نظرت لى وابتسمت ابتسامة غامضة ، فسألتها :

ـ هل ستخبرينى بالكابوس الآن .. أم ستؤجلينه لحين تحققه ؟

قالت بلهجة حاسمة :

ـ لا يا دكتور .. سأخبرك به الآن .. هل أنت مستعد ؟

ـ تفضلى .

ـ لقد رأيت ....

* * *

4ـ الكابـوس ..

قلت للسيدة (ماجدة) بعد أن روت لى كابوسها اللعين :

ـ حادثة شنيعة فعلاً .. لكن لم يكن هناك داعى لذكر التفاصيل .

قالت بلهجة تشف واضحة :

ـ أردت أن تجرب ما أراه فى أحلامى .. هل تأثرت نفسيتك بتخيله ؟

ـ أنا لم أحب أن تذكرى التفاصيل قلقًا عليكِ أنتِ .. لأن سردكِ لها سيعيدكِ إلى نفس الحالة التى كنتِ عليها بعد رؤيتكِ له .. ألم تلاحظى حالتكِ وأنتِ تسردينه ؟ كانت سيئة جدًا ولم تستجيبى أبدًا لمحاولات تهدئتكِ .

التقطت السيدة (ماجدة) نفسًا عميقًا وقالت :

ـ أنا بخير الآن .. أشعر و كأننى أزحت عبئًا ثقيلاً عن كاهلى .. لم أعد مسئولة وحدى عن الأمر الآن .

ـ ما الذى تعنينه ؟

ـ أنت تعرف جيدًا ما أعنيه يا دكتور .. وهو أنك أصبحت مسئولاً معى إن تحقق هذا الكابوس .. لم أعد وحدى المكلفة بمحاولة منع حدوثه .. ولقد وعدتنى يا دكتور .

ـ نعم .. وعدتكِ بالمحاولة .. ولكنكِ لم تخبرينى بعد من هى التى ستتعرض لحادث السيارة هذا .

ـ عادت تبكى من جديد .. يبدو أنها تذكرت الكابوس مرة أخرى وتذكرت الضحية .

ـ لن أحتمل فراقها .

ـ مـن ؟

ـ إنها أقرب الناس إلىّ .

أعتقد أنى خمنت الإجابة قبل أن تقول :

ـ يا لعمتى المسكينة .

وكان استنتاجى صحيحًا .. للأسف .

* * *

طلبت منى السيدة (ماجدة) أن أقنع عمتها بعدم الخروج .. طبعًا حتى لا تتعرض لحادث سيارة .. كما رأت فى حلمها .

لكن ..

كيف سأقنع سيدة كبيرة مثل السيدة (نرجس) بعدم الخروج .. دون أن تشك أن الموضوع له علاقة بالكوابيس التى تراها ابنة أخيها ؟

ورغم صعوبة الأمر .. وعدت السيدة (ماجدة) بالمحاولة ..

وفكرنا معًا فى حيلة .

يمكننى مثلاً أن أطلب من السيدة (نرجس) أن ترعى ابنة أخيها جيدًا ، ولا تتركها لحظة .. وطالما أن السيدة (ماجدة) لن تخرج من شقتها فإن عمتها لن تخرج أيضًا .

أما السيدة (ماجدة) فقد أخبرتنى أنها ستمنع عمتها من الخروج .. بأى وسيلة ..

حتى لو اضطرت إلى ادعاء المرض ، وأنها فى احتياج لشخص بجوارها .. وهكذا تظل السيدة (نرجس) بجوارها لكى تراعيها فى مرضها .

كل هذه الخطط من أجل منع خروجها .. حتى لا يتحقق الكابوس .. وتشفى السيدة (ماجدة) من أوهامها وينتهى الأمر .

وتنتهى حالة الفراشة السوداء .

* * *

انتهت الجلسة بعد أن قصت لى كل أحلامها التى تحققت فى الفترة الأخيرة .. مازلت أرى أنها تسعد بهذه الحاسة السادسة كما تسميها أو الموهبة .. هذه السيدة تحلم كثيرًا جدًا .. أشعر أنها تعيش على الأحلام بدلاً من الطعام والشراب .

كانت ستخرج لى قصاصات من جرائد لتخبرنى أنها حلمت بهذه الحوادث المنشورة قبل حدوثها .. كعادتها .. ولكنى طلبت منها تأجيل ذلك للجلسة التالية فسألتنى :

هل هناك جلسة ثانية ؟ ألم نتفق الآن على ألا أخرج من منزلى حتى لا يتحقق الكابوس ؟ كيف سآتى لك إذن ؟

ضحكت قائلاً :

ـ يا سيدتى .. إن لم يتحقق الكابوس لن تكون هناك جلسة ثانية .. لأنك ستعلمين عندها أن أحلامك لا تتحقق .. وستنسى تمامًا مسألة (الحاسة السادسة) هذه .. اتفقنا ؟

ـ اتفقنا .

ـ أريدك أن تسجلى كل أحلامكِ فى مذكرات واحرصى على تدوين التاريخ .. وأريدكِ أن تسجلى أيضًا كل انفعالاتكِ ومشاعركِ طوال الوقت .. هذه المذكرات اعتبريها صديقتكِ التى ستبوحين لها بكل أسراركِ التى لا يمكنكِ أن تخبرى بها أحدًا .. لكن .. يجب أن تضعى هذه المذكرات فى مكان أمين .. لا يمكن أن يصل إليه مخلوق غيركِ .

ـ بالتأكيد يا دكتور .

ـ واحرصى على عدم خروج عمتك فى الفترة المقبلة .

ـ سأحرص على ذلك ، ولكن هل يعنى هذا أنك اقتنعت أخيرًا بـ ...

ـ لا .. ولكن ماذا لو حدثت الكارثة ؟ سأراها صدفة .. أما أنت فسترين أن أحلامك تتحقق .. وأنا لا أريد أن أترك احتمالاً للصدفة .. لذا أقول (الاحتياط واجب) .

قالت مبتسمة ابتسامة غامضة :

ـ الحذر لا يمنع القدر يا دكتور .

ـ مازلت حائرًا فى أمر هذه السيدة ..

ـ هل تريد حقًا ألا يتحقق الحلم حتى تعيش مع عمتها حياة سعيدة آمنة ؟ أم إنها تريد أن يتحقق حلمها لتثبت لى ولنفسها أن أحلامها تتحقق ؟

* * *

خطيبتى (نادين) ..

كانت فى المستشفى .

من قرأ حالة الآنسة (شذا)(*) سيعرف سبب وجودها بالمستشفى .. أما من جاء منكم متأخرًا يمكننى أن أقول له ببساطة .. لقد تعرضت خطيبتى لحادث سيارة .

(*) راجع العدد الثالث : حالة مستحيلة .

حدث ذلك بعد جلستى مع السيدة (ماجدة) بيوم .

تلقيت اتصالاً من الآنسة (شذا) .. اتصالاً يحمل لهجة تهديد شديدة .

فاتصلت بخطيبتى لأطمئن عليها وأحذرها .. فردت علىّ أمها وأخبرتنى أنها ليست بالمنزل ، فخرجت من العيادة بسرعة وركبت سيارتى وانطلقت بسرعة جنونية إلى منزل خطيبتى .

أما هى فكانت تسير عائدة إلى منزلها .. تحمل بيديها حقيبة أنيقة وضعت بها ما اشترته ، ورغم أنها نظرت إلى الطريق جيدًا قبل أن تعبره لم تنتبه للسيارة المسرعة التى كانت تنطلق كالصاروخ نحوها .. وتصدمها .

وسقطت أميرتى على الأرض ولم تلمح السيارة التى صدمتها .. لم تلمح حتى لونها .. أما أنا .. فأعرف شكل هذه السيارة وأعرف رقمها جيدًا .

كنت موجودًا هناك .. ورأيت كل شىء .. رأيت هذا المشهد الرهيب القاسى .. المشهد الذى لا يمكن أن يمحى من ذاكرتى للأبد .. مشهد الملاك الذى سقط متألمًا على الأرض .. وفقد وعيه تمامًا .

نقلتها على الفور إلى أقرب مستشفى .. ودعوت الله كثيرًا من أجلها .. واستجاب الله لدعائى .

فتحت أميرتى عينيها أخيرًا ..

رأتنى أجلس بجوارها بينما أمها كانت تجلس بجوار النافذة تقرأ القرآن من المصحف .. سألتنى مندهشة بصوت واهن :

ـ أين أنا ؟

هنا نهضت أمها واندفعت إليها لتحتضنها باكية ، وقالت :

ـ الحمد لله .. الحمد لله .

* * *

تلقيت من حماتى الكثير من العتاب و اللوم على تعرض ابنتها للخطر باستمرار بسببى أو بمعنى أدق بسبب مرضاى .. ولكن خطيبتى أعلنت تمسكها بى رغم كل شىء .. وجعلت أمها تتراجع عن موقفها وعن تهديدها بإنهاء الخطوبة .. ولكن حماتى كانت محقة .. أى ذنب اقترفته ابنتها لتستحق كل هذا الألم ؟!.. إن ذنبها الوحيد هو أنها أحبتنى .. ذلك الحب الذى جلب إليها الكثير من البلاء والشقاء والعناء .. يومًا تتعرض للموت على يد قاتل مأجور .. ويومًا آخر على يد مجنون .

واليوم تتعرض لحادث سيارة .. وكل هذا بسببى ورغم ذلك مازالت تحبنى .. أتساءل الآن : هل أستحق كل هذا الحب من هذا الملاك البرىء ؟

خرجت حماتى من الغرفة لتتحدث مع الطبيب بشأن خروج (نادين) من المستشفى أما أميرتى فقد نظرت لى والابتسامة تزين وجهها .. قلت لها بهدوء :

ـ أود أن أخبركِ بأمر ما .

قالت لى وعلى شفتيها تمرح ابتسامة عذبة :

ـ ستعترف بحبك لى للمرة الألف .

ـ لا .. سأخبركِ بشىء لا تعرفينه .

ملامح الجدية على وجهى جعلتها تدرك أن الأمر ليس له علاقة بالرومانسية على الإطلاق .. فقالت بتوتر :

ـ ما الأمر ؟ لقد أقلقتنى .

التقطت نفسًا عميقًا ثم قلت بهدوء :

ـ (شذا) ليست هى التى صدمتك بسيارتها .

وأعطيت (نادين) آخر رسالة كتبتها (شذا) .. فقرأتها .. ثم قالت مندهشة :

ـ من الذى كتب هذه الرسالة ؟

ـ (شذا) .

ـ ولكنها وقعتها باسمى .. لماذا وقعتها باسمى ؟ ولماذا وجهت الرسالة لك ؟ ولماذا ادعت هنا أنى أفكر فى الانتحار ؟ هل كانت تخطط لقتلى .. وتجعل الأمر يبدو كانتحار ثم تترك هذه الرسالة بجوار جثتى ؟

ـ لا .. ليس الأمر هكذا .

ـ لماذا تقول هذا ؟

ـ لأنها انتحرت بعد كتابة هذه الرسالة .

ـ ماذا ؟ انتحرت !

ـ نعم ، و كما أخبرتكِ .. (شذا) لم تصدمكِ بسيارتها .

ـ هل أنت متأكد ؟

ـ نعم .. متأكد .

ـ وهل تعرف من الذى صدمنى ؟

ـ نعم .. أعرف .

ـ من ؟

« ماجدة »

نظرت خلفى لأرى من الذى نطق بهذا الاسم ، فوجدتها السيدة (ماجدة) نفسها .. ثم سمعتها تقول للطبيب :

لقد أخبرتك من قبل .. اسمى (ماجدة) .. وجئت لأرى د.(ياسين) .. لماذا لا تدعنى أدخل ؟

هنا اتجهت حماتى إلىّ لتسألنى غاضبة :

ـ من هذه يا دكتور ؟ هل هى إحدى مريضاتك ؟

نهضت من مكانى وأنا أقول بصوت منخفض :

ـ نعم .

وذهبت إلى الطبيب الذى يتحدث مع السيدة (ماجدة) وقلت :

ـ ما الأمر ؟

ظهرت السعادة على وجه السيدة (ماجدة) وقالت :

ـ الحمد لله أنك بخير .. الحمد لله .. لقد قلقت عليك عندما أخبرونى أنك فى المستشفى وأنك لم تذهب إلى عيادتك منذ ثلاثة أيام .. وقلقت أكثر عندما علمت أنك هنا بسبب حادث .. اعتقدت أنك المصاب .. ولكن الحمد لله أنها خطيبتك وليس ...

قاطعتها قبل أن تكمل .. وأنا أدعو الله ألا تكون خطيبتى أو أمها قد سمعت جملتها الأخيرة :

كيف حالكِ ؟

الحمد لله .. أنا بخير طالما أنك بخير يا دكتور .

فقلت للطبيب الذى مازال واقفًا معنا :

ـ لا تقلق بشأنها .. أنا أعرفها جيدًا .

فتركنا وانصرف فقلت للسيدة (ماجدة) بصوت منخفض :

ـ ما الذى جعلكِ تغادرين شقتكِ ؟ ألا تخشين أن تخرج عمتك هى الأخرى ؟

ـ نعم .. ولكنى كنت قلقة جدًا عليك ؛ لذا اضطررت للخروج و ...

قاطعتها قائلاً :

ـ حسنًا .. لقد اطمئننتِ علىّ .. أنا بخير كما ترين .. يمكنكِ العودة إلى منزلكِ الآن وابقى مع عمتكِ .. لا تتركيها أبدًا .

ولكن هناك حلمًا أريد أن ...

ـ ليس هذا الوقت ولا المكان المناسب لذلك .

لنذهب إلى العيادة .

ـ لا .. هناك بعض الأمور تستدعى بقائى هنا .

ظهر عليها الضيق فقلت لها :

ـ كيف حال مذكراتكِ ؟ ألم نتفق على أن ..

ـ لا .. المذكرات لن تفيد .. أنا أريد أن أخبرك بهذا الحلم لأعرف رأيك .

ـ حسنًا .. عودى إلى المنزل الآن وسوف أتصل بكِ عندما ..

قاطعتنى قائلة بغضب :

ـ ولماذا ليس الآن ؟

كما أخبرتكِ .. هناك بعـ ..

هنا جاءت حماتى وقالت بلهجة لم أفهم مغزاها :

ـ تفضل أنت يا دكتور .. عُد إلى عيادتك ومرضاك .

ـ ولكن ..

ـ لا تقلق بشأن (نادين) .. لقد أخبرنى الطبيب أنها ستخرج اليوم .

ـ ولكن ..

ـ عُد إلى مرضاك يا دكتور .

لا أعرف ما الذى تخطط له حماتى بالضبط .. ولا الدافع الخفى الذى جعلها تلح هكذا .. لا أعتقد أنها تهتم بأمور مرضاى إلى هذا الحد .

قلت لهما لأمنع سيل التوسلات :

ـ حسنًا .. حسنًا .. سأذهب إلى العيادة .

ـ خيرًا فعلت يا دكتور .

قالتها السيدة (ماجدة) .. أما حماتى فعلقت قائلة وهى تتأمل سعادة مريضتى :

ـ من الواضح أن مرضاك يحبونك جدًا يا دكتور .

لم أعلق على ما قالته .. فقط نظرت إلى السيدة (ماجدة) وقلت :

ـ لحظة و سآتى معكِ إلى العيادة .. انتظرينى بالخارج .

ثم ذهبت إلى (نادين) وقلت لها :

ـ للأسف .. مضطر إلى الذهاب إلى عيادتى الآن .. وسوف نكمل حديثنا فيما بعد .

ـ إن شاء الله .

ابتسمت وقلت لها بكل الحب والرومانسية :

ـ سأفتقدكِ جدًا .

ـ أنا أكثر .

وودعتنى بابتسامة عذبة رقيقة جميلة لم تغب عن بالى وأنا أنزل الدرج مع السيدة (ماجدة) التى كانت فى قمة سعادتها ، ثم ..

ـ « كيف حال (نادين) يا دكتور ؟ »

فجأة سمعت هذه الجملة بجوارى .. وبتلقائية شديدة أجبت :

ـ بخير .. الحمد لله .

ثم تلفتُ لأعرف من الذى سألنى هذا السؤال .. فوجدته رجلاً متأنقًا يصعد الدرج .. سأل السؤال فجأة عندما مر بجوارى ثم أكمل صعوده لأعلى .

ما أغاظنى أنه سألنى عن خطيبتى و أجبته دون أن أعرفه .

وما أغاظنى أكثر هو أننى لمحت باقة ورد جميلة فى يديه .. فتوقفت حتى أستطيع أن ألمح وجهه ..

ولمحته ..

كان وجهه مألوفًا جدًا .. لكننى لم أستطع تذكر اسم صاحبه ، فسألت السيدة (ماجدة) :

ـ من هذا ؟

وكأنى أنتظر إجابتها ، قالت :

ـ لا أعرف .. هيا بنا يا دكتور إلى العيادة .

ـ لحظة .. سأسأله عن اسمه .

ـ لا .. لن أتركك تصعد .. اسأله فيما بعد .

ـ وكيف سأراه فيما بعد ؟

قالت و الذكاء يطل من عينيها :

ـ اسأل خطيبتك عنه فيما بعد .

لم تر السيدة (ماجدة) نيران الغيرة التى تشتعل بداخلى وتابعت قائلة :

ـ فهو بالتأكيد ذاهب لزيارتها .

قلت لها وأنا أضغط على كلماتى :

ـ لهذا أريد أن أعرف من هو .

قالت وهى تجذبنى بشدة إلى الخارج :

ـ فيما بعد يا دكتور .. فيما بعد .. أما الآن فيجب أن تستمع إلى حلمى الأخير .

* * *

وفى العيادة ..

حسنًا .. تفضلى .. أخبرينى بحلمكِ الأخير الذى من أجله تركتِ أمور عديدة كان يجب أن ..

قاطعتنى قائلة بهدوء لا يناسب ما قالته :

ـ لقد حلمت بموتى .. سأموت يا دكتور .

* * *

5ـ حلم الموت ..

سألت السيدة (ماجدة) مندهشًا :

ـ ماذا ؟

ـ لقد حلمت بموتى يا دكتور .

صمتُّ لفترة .. لا أعرف ماذا أقول .. هذه المرة الأمر يختلف .. يختلف تمامًا .

لقد حلمت بموتها هذه المرة .. فماذا لو لم يتحقق حلمها ؟ ستنتهى مشكلتها عندما تدرك أن أحلامها لا تتحقق .. أما إذا تحقق حلمها .. أى ماتت بالفعل .. هنا ستكون مشكلتها انتهت تمامًا بموتها .

من الواضح أن حالة الفراشة السوداء قاربت على الانتهاء .. وطبعًا أتمنى انتهاءها بالطريقة الأولى .. ألا يتحقق حلمها .

ـ أخبرينى بهدوء .. كيف حلمتِ بموتكِ ؟.. ما الذى رأيتِه بالضبط ؟

ـ وهل تعتقد أنى سأخبرك بهذا الحلم ؟

ـ ولماذا لا ؟

- ألا تعرف السبب حقًا ؟

قلت وقد مللت من هذا الأمر :

- لن تروى الحلم حتى لا يتحقق .

قالت وعلى وجهها ابتسامة عريضة :

- بالضبط يا دكتور .

- حسنًا .. هل ستكتفين بإخبارى أنكِ حلمتِ بموتكِ فقط .. دون ذكر أى تفاصيل عن الحلم ؟

- نعم .. وإن كنت تريد أن تسألنى أى سؤال .. اسأل وسأجيبك .. ولكن السؤال الذى يتعلق بما رأيته فى هذا الحلم .. لن أجيبه .

- حسنًا .. هل يمكننى أن أسأل الآن ؟

- تفضل يا دكتور .

بحثت عن أسئلة أخرى لأسألها .. بحثت و ... بحثت و ... بحثت وفى النهاية وجدت نفسى أقول :

- ما الذى رأيته فى حلم موتكِ ؟

صاحت غاضبة :

- يا دكتور .. سأجيبك على أى سؤال إلا هذا .

- لماذا ؟ هل تعتقدين أننى سأنفذ الحلم مثلما كان زوجكِ يفعل ؟

- لا .. لم أفكر فى هذا أبدًا ؛ لأن أحلامى تتحقق بمجرد أن أقولها .. سواء بزوجى أو بدونه .. إنه قدرى أنا .. قدرى أن أمتلك تلك الحاسة ...

قاطعتها قائلاً :

- وهل ترين أن السبيل الوحيد لمنعها هو ..

قاطعتنى لتكمل جملتى قائلة :

- ألا أرويها .

لاحظت عدم اقتناعى بما تقوله ، فقالت :

- قد يكون كلامى خياليًا .. ولكن .. لم لا نجرب يا دكتور ؟ لن نخسر شيئًا .. ربما أكون محقة ولا يتحقق الحلم طالما أننى لم أروه .

- حسنًا .. فى هذه الحالة .. هل ستتوقفين عن حديثكِ عن الموهبة والحاسة الخارقة ؟

ابتسمت ثم قالت والذكاء يطل من عينيها :

- لا .. بل سأتوقف عن قص أحلامى للآخرين .

صمتت للحظات ثم قالت :

- أنت لم تسألنى عن الحالة الأخرى .

- ماذا ؟

- أعنى لم تسألنى عن الاحتمال الآخر .. إذا تحقق الحلم رغم حرصى على ألا أقصه لأحد .. ما الذى سيحدث فى هذه الحالة ؟

- فلتخبرينى أنتِ .

- أعتقد أنك ستكون على يقين تام بأن أحلامى تتحقق .. وفى نفس الوقت ستكون انتهيت من علاجى .. انتهيت تمامًا .. لأنى سأكون ميتة .

- فلنأمل ألا يحدث هذا الاحتمال الآخر .. ولكن .. على فرض أن أحلامكِ تتحقق .. ألم تقولى من قبل أن تدخلنا قد يمنع حدوثها ؟

- نعم .

- لماذا لا تخبرينى به حتى أساعدك فى منع حدوثه ؟

أعتقد أن نسبة عدم حدوث الحلم طالما لم أقصه .. أكبر من نسبة نجاحك فى منعه من الحدوث إذا قصصته .. ولا أريد أن أذكرك بحلم موت صديقك الذى لم تستطع إنقاذه .

لقد ذكرتنى به بالفعل بمجرد قولها (لا أريد أن أذكرك ...) .. قلت لها :

- ألا يعتبر ما قلتِه الآن هو قص للحلم ؟ لقد أخبرتنى أنكِ حلمتِ بموتكِ .. أليس هذا كافيًا لتحقق الحلم ؟

- لا .

- لماذا ؟

- لأنى لم أخبرك بالتفاصيل .. وهذه هى الأهم .

- حسنًا .. كيف سأعرف أن حلمكِ قد تحقق أم لا طالما أنكِ لم تخبرينى به ؟

- إن مت فقد تحقق حلمى .. إن لم أمت فـ ...

قاطعتها قائلاً :

- كلنا سنموت .. و يمكننى مراهنتكِ على أى شخص الآن أنه سيموت وسوف أكسب الرهان إذا مات فى أى لحظة .

- ما الذى تريده بالضبط يا دكتور ؟

- سبب الوفاة .. أخبرينى بالتفاصيل .. هذه هى الأهم .

- لن أخبرك بها لأن ..

قاطعتها قائلاً :

ـ حسنًا .. اكتبيها فى مذكراتكِ .. ما رأيكِ ؟

ـ أخشى أن تقع المذكرات فى يد أحد ويذهب لتحقيقه .

ـ ألم أطلب منكِ أن تضعيها فى مكان لا يصل إليه أحد غيركِ ؟

ـ نعم .. وأنا أضعها بالفعل ولكن ..

ثم صمتت للحظات ثم قالت مبتسمة :

ـ لقد جاءتنى فكرة ..

ـ ما هى ؟

ـ سوف أكتب تفاصيل الحلم فى ورقة ثم أضعها فى مظروف .. لا تفتحه إلا بعد وفاتى .. سأشرح لك فى هذه الورقة ما رأيته فى الحلم بالتفصيل ، حتى تعلم فيما بعد أن حلمى قد تحقق حرفيًا .. وتتأكد من امتلاكى هذه الحاسة .

ـ فكرة لا بأس بها .

ناولتها الورقة والقلم والمظروف فشرعت تسجل على الورقة ما رأته فى حلمها الأخير .. حلم موتها .

طبعًا لم أخبرها أننى أخشى إقدامها على الانتحار رغبة منها فى تحقيق حلمها .. فتكون هى محقة بشأن امتلاكها الحاسة السادسة وأكون أنا مخطئًا .. أنا أعلم جيدًا مدى إصرارها لإثبات صدق حدسها .. ولكنها هذه المرة ستكون ميتة إذا كانت محقة .

طبعًا لم أخبرها بهذه الشكوك حتى لا أزرع الفكرة بداخلها .. فكرة تحقيق حلمها بنفسها .. فكرة الانتحار .. ربما لم تفكر فى هذا بعد لذا لا أريد أن أكون سببًا لتفكيرها فيه .

ثم شرد ذهنى فى موضوع آخر ..

كنت أحاول تذكر اسم ذلك الشخص الذى قابلته فى المستشفى .. أنا أتذكر أنى قابلته من قبل و تحدثت إليه ، ولكنى لا أتذكر أين .

من هو بالضبط ؟

وما صلته بـ (نادين) ؟

انتهت السيدة (ماجدة) من كتابة حلمها فى الورقة ثم طوتها ثم وضعتها فى المظروف وأغلقته .

فوجئت بها تكتب جملة على المظروف .

هل ستكتب جملة (سرى للغاية) ؟

أعطتنى المظروف فقرأت ما كتبته عليه .. كانت جملة بسيطة تقول :

(لا يُفتح إلا بعد وفاتى) .

فى نفس اللحظة تذكرت ..

تذكرت كل شىء عن ذلك الرجل .

الآن عرفت لماذا سألنى عن (نادين) .

* * *

ـ « متى عاد من السفر ؟ »

سألت (نادين) هذا السؤال وأنا جالس معها فى حجرة الجلوس بمنزلها فسألتنى :

ـ من ؟

ـ (أسامة شوكت) .. ابن خالكِ .

ابتسمت وقالت مندهشة :

ـ كيف عرفت ؟ هل قابلته ؟

ـ نعم .

ـ أين ؟

ـ فى المستشفى .. لكن أخبرينى متى عاد وكيف علم بأمر الحادث .. وما الذى قاله لكِ عنى .. وكيف سمح لنفسه بزيارتكِ .. وكم مرة أ...

قاطعتنى واضعة أصابعها الرقيقة على فمى لتمنعنى من التحدث قائلة :

هل تغير علىّ ؟

نعم .. أغير .. ومن حقى أن ..

رأيتها تضحك فضايقنى أنها تسخر من مشاعرى .. فبترت جملتى لأقول لها :

ـ لماذا تضحكين الآن ؟ هل قلت شيئًا مضحكًا ؟

ـ ياااااه .. يا (ياسين) .. أمازلت تتذكر أنه تقدم لخطبتى قبلك ؟

ـ نعم .

ـ ولكن ألا تتذكر أنى رفضته وعندما تقدمت أنت قبلت على الفور ودون تردد ؟

ـ أتذكر هذا أيضًا ولكن لا تهربى من أسئلـ ...

قاطعتنى قائلة :

ـ متزوج .

ـ ماذا ؟

ـ أقول لك إنه متزوج .. لقد تزوج فى الخارج وأنجب ابنًا .. كيف حالك الآن ؟

لم أجد شيئًا أقوله .. التزمت الصمت .. فقالت مبتسمة :

ـ لم أكن أعلم أنك ستكون لطيفًا هكذا وأنت غاضب .

ـ لطيفًا !!

دخلت حماتى وقدمت لنا العصير ثم عادت إلى المطبخ لتستكمل غسيل الأطباق .. فقالت خطيبتى :

ـ أخبرنى أنت .. من تلك السيدة التى أخذتك منى فى المستشفى ؟

ـ تقصدين السيدة (ماجدة) ؟.. إنها إحدى مريضاتى .

طبعًا .. لم أرد تذكيرها بأنها هى نفسها السيدة التى كانت تحلم ، وكادت أن تتسبب فى قتلها .. أعنى قتل خطيبتى على يد قاتل مأجور .

قالت وقد انتقل فيروس الغيرة منى إليها :

ـ وهل هى مهمة بالنسبة لك للدرجة التى تتركنى من أجلها ؟

قلت بهدوء حتى لا أثير أى خواطر شيطانية بداخلها :

ـ إنه نداء الواجب .. حالتها كانت سيئة جدًا .

ثم تابعت بصوت هامس :

ـ ووالدتكِ ساهمت فى الأمر .. لقد أصرت على خروجى معها .

ضحكت أميرتى ضحكة عذبة طويلة .. ثم قالت فجأة وكأنها تذكرت شيئًا ما :

ـ هيا .. أكمل لى الحديث الذى قطعته تلك السيدة .

ـ أى حديث ؟!

ـ قلت لى أن (شذا) ليست هى التى صدمتنى بسيارتها .

ـ آه .. تذكرت .

ـ الحمد لله .. هيا .. أكمل حديثك .

أخذت نفسًا عميقًا ثم قلت بهدوء :

ـ هل أنت مستعدة لمعرفة الحقيقة ؟

تمام الاستعداد ، ولكن لم هذا السؤال ؟ لقد كنت ستخبرنى بالأمر وأنا على سرير المستشفى فما بالك الآن ، وأنا أجلس هنا فى منزلى ؟ هيا .. أخبرنى وبسرعة .. أريد أن أعرف الحقيقة الآن .

ـ حسنًا .. إن الشخص الذى صدمكِ بسيارته لم يكن يريد هذا على الإطلاق .. ولكنه فوجئ بكِ أمامه فجأة وكان الاصطدام ...

ـ لم هذه المقدمة ؟! أخبرنى باسمه أو باسمها على الفور .

ـ على فكرة أنتِ تعرفينه جيدًا .

ـ هذا يعنى أنه رجل .. هل تريدنى أن أخمن اسمه ؟

ـ لن يمكنك تخمينه لأنك لن تتصورى أبدًا أن يكون هو الفاعل .. إنه آخِر شخص ..

قاطعتنى قائلة بابتسامة غامضة :

ـ اتركنى أخمن .

ـ تفضلى .

قالت باقتضاب :

ـ أنت .

* * *

6 ـ السـر ..

ـ « مـاذا ؟ »

قلت هذه الكلمة مذهولاً .. وما أثار دهشتى أنى رأيت خطيبتى تبتسم بعدها .

فى الواقع لم أتوقع أن تقول هذه الإجابة .. بمعنى أدق .. لم أتوقع أن تقول الإجابة الصحيحة .

قلت مندهشًا :

ـ كيف عرفتِ ؟ من أخبركِ ؟

ضحكت ضحكة غامضة وقالت :

ـ أهذا يعنى أن إجابتى صحيحة ؟

قلت بغيظ :

ـ (نادين) .. لا يمكنك أن تقولى هذه الإجابة إلا إذا كنت تعلمين أنها الحقيقة .. لذا .. من فضلك أخبرينى كيف عرفت .

يبدو أن غضبى أسعدها فى هذه الدقائق القليلة ، ولكنها شعرت أنى سأنفجر بعد خمس ثوان ، فقررت إبطال التفجير ، وقالت بهدوء :

ـ حسنًا .. سـأخبرك .. لقد رأيت سيارتك قبل أن تصدمنى مباشرة .. وأنا أعرف سيارتك جيدًا .. هذا كل ما فى الأمر .

ـ ولكنى اعتقـدت أنكِ لم ترينى وكنت أنـوى مصارحتك الآن بما حدث .

ـ حسنًا .. لقد وفرت عليك الـ ...

قاطعتها قائلاً :

ـ أيعنى هذا أنك كنت تعلمين الحقيقة كل هذا الوقت ؟

اكتفت بابتسامة عذبة كإجابة على سؤالى .. فقلت لها :

ـ ولماذا لم تخبرينى بذلك ؟

ـ انتظرت أن تعترف بجريمتك .

احتضنت يدها بيدى وقلت :

ـ سامحينى .. لم أكن أريد هذا أبـدًا .. لقد تلقيت مكالمـة تهديد من (شذا) فكاد عقلى أن يطير .. قدت سيارتى بسـرعة جنونيـة لإنقاذكِ .. وإذا بى ألمحكِ فجأة أمامى تعبرين الطريق .. ضغطت على الفرامل بأقصى سرعـة ، ولكن حدث الاصطدام ورأيت أسـوأ ذكرى يمكن أن تمر بى .. أنـا لا أستطيع نسيان مـا حدث حتى الآن .. سامحينى أرجوكِ .

قاطعتنى قائلة :

ـ لقد سامحك قلبى منذ يوم الحادث .

ـ يا لهذا الملاك .. أصدمها فتسامحنى بكل هذه البساطة .

أنا سأسلم نفسى للشرطة .

صاحت غاضبة :

ـ ما الذى تقوله ؟

ـ مازلت أشعر بتأنيب الضمير .. وأمام رقة قلبكِ الطيب هذا أشعر بمدى حماقتى ومدى قسوتى .

ـ لماذا كل هذا ؟

ـ أنا أصدمك وأنت تسامحيننى على الفور .. أنا لا أستحق كل هذا .

(ياسين) .. أرجوك لا تفعل إن كنت تحبنى .. أما بالنسبة للحادث .. فلقد سألنى الضابط فى المستشفى فقلت لهم : لم أرَ السيارة .

ـ قلت هذا وأنتِ تعلمين ما حدث !

ـ أنا لا أعلم سوى شىء واحد .. هو أنك تحبنى أكثر من أى شخص على وجه الأرض .. ولا يمكنك أن تؤذينى أبدًا .

قلت بصوت واهن :

ـ ولكنى فعلت ذلك بالفعل .

ابتسمت ابتسامة عذبة رقيقة وقالت :

ـ لننسَ ما حدث تمامًا .. ولكن .. من فضلك لا تفعلها مرة أخرى .. هذه المرة مرت بسلام و خرجت سالمة .. لا أحد يدرى ما الذى سيحدث ..

ـ بعد الشر عليكِ يا أميرتى .. لن تكون هناك مرة قادمة أبدًا .

هنا سمعت صوت الجرس اللعين .. جاء ليقطع هذه اللحظة الرومانسية الجميلة فقامت أميرتى لتفتح الباب ..

كان الزائر هو آخر شخص أتمنى رؤيته .

كان (أسامة شوكت) .

* * *

ـ « كيف حالك يا دكتور ؟ »

قالها (أسامة) بابتسامة مصطنعة حاول جاهدًا أن يخرجها طبيعية فقلت له بابتسامة مصطنعة متعمدًا أن تبدو كذلك :

ـ بخير .. متى عدت من السفر ؟

قال بهدوء الذئاب :

ـ منذ أسبوع .

صحت منزعجًا :

ـ أسبوع !

لم تكن (نادين) أو أمها معنا .. كانتا فى المطبخ تحضران شيئًا ما .. وتركانى وحيدًا مع هذا الضيف الثقيل .. سألته :

ـ وكيف حال العمل والحياة بالخارج ؟ أليست أفضل من هنا ؟

قال بنفس الهدوء المستفز :

ـ لا .. هنا أفضل بالتأكيد .

ـ ولكنى أعتقد أن الحياة بالخارج أفضل .

ـ هل تعتقد ذلك حقًا يا دكتور ؟

ـ بكل تأكيد .

ـ لو أنك ترى هذا .. لم لا تسافر يا دكتور ؟

ـ .....

ـ أنا مستعد أن أوفر لك كل الامكانيات للسفر والعمل بالخارج .. وبمرتب كبير جدًا وإقامة مريحة .. ما رأيك ؟

يبدو أنه يخطط لطردى من هنا .. ليخلو له الجو .. وينصب شباكه من جديد حول الملاك البرىء .. قلت له :

ـ لكنى أفضل العيش هنا .

قال وعلى شفتيه ابتسامة شيطانية :

ـ وأنا أيضًا أفضل العيش هنا .. ولو أن الأمر بيدى لتركت العمل هناك ، وبدأت حياتى من جديد هنا ، ولكن ..

توقف للحظة ثم قال متحسرًا :

ـ ما باليد حيلة .

قلت محاولاً كتمان سعادتى :

ـ أفهم من هذا أنك فى زيارة وسوف تعود إلى الخارج مرة أخرى .

ـ بالضبط يا دكتور .. ولكن .. لماذا أشعر أنك متضايق من وجودى بمصر ؟!

صحت قائلاً بمودة مبالغ فيها :

ـ لا .. أبدًا .. بالعكس .. لقد افتقدتك بشدة .. أهلاً بك فى مصر .

ضحك بصوت عال وقال :

ـ ألم تنس يا دكتور ؟

سألته متوترًا :

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ يبدو أنك لم تنس أنى تقدمت لخطبة (نادين) قبلك .

كدت أتكلم ولكنه استوقفنى ليتابع حديثه :

ولكن .. كان هذا فى الماضى يا دكتور .. ولقد نسيت الماضى ويجب أن تنساه أنت أيضًا .. حتى تكون العلاقة بيننا جيدة .. خاصة أننا سنرى بعضنا كثيرًا فى المستقبل .. ألن تكون زوج ابنة عمتى ؟

ـ إن شاء الله .

قال بلهجة غامضة غير مريحة على الإطلاق :

ـ وأنا متأكد أن (نادين) لن تجد أفضل منك زوجًا لها .

هل أشم رائحة سخرية فى حديثه ؟ ! أنا لم أسترح لحديثه أبدًا خاصة عندما تابع بلهجة خبيثة :

ـ عريس به كل المواصفات الرائعة .. أين تجد فى هذه الأيام عريس وسيم مثلك ؟.. طبيب ناجح أيضًا .. لديه شقة فاخرة و ...

توقف للحظة ثم تابع قائلاً بسخرية قاتلة :

سيارة سريعة .. يصدم بها خطيبته دون أن يدرى به أحد .

ما هذا ؟ نظرت له مندهشًا .. كيف علم بهذا الأمر ؟

وكأنه سمع أفكارى وجدته يقول بهدوء الثعالب :

ـ لقد سمعتكما وأنا أقف أمام الباب أضغط على الجرس .

ثم فوجئت به يربّت على ساقى قائلاً بمودة زائفة وبابتسامة شيطانية :

ـ لا تقلق .. لن يعلم أحد بالأمر .. سرك فى بئر يا دكتور .

* * *

فجأة دق جرس الهاتف فى منزل خطيبتى ، فقام (أسامة) ورفع السماعة .. كأنه صاحب البيت ، وقال :

ـ آلو .. من ؟.. نعم .. إنه هنا .

ثم فوجئت به يمد لى السماعة ، ويقول :

ـ تفضل يا دكتور .

ـ ماذا ؟

ـ هذه المكالمة لك .

لم أصدق فى البداية .. ولولا أنى أعلم جيدًا أن (أسامة) لا يطيقنى لاعتقدت أنه يمزح معى .. ولكن من ذلك الـ (.....) الذى يتصل بى فى منزل خطيبتى ؟

قال (أسامة) وعلى شفتيه ترقص ابتسامة شيطانية :

ـ على فكرة .. صوت أنثى .

اتجهت إليه والتقطت السماعة لأتأكد مما يقول .. وبعد (آلو) ..

ـ د.(ياسين) .. الحمد لله أنى وجدتك .

كانت السيدة (ماجدة) هى المتصلة ..

ـ من الذى أخبركِ أنى هنا ؟

ـ أنا آسفة أنى أتصل بك فى منزل خطيبتك ولكن الأمر مهم .

لابد أنه الممرض هو الذى أخبرها أنى هنا ، فهو الوحيد الذى يعلم هذا .. ولكن لماذا يخبرها ؟ ولماذا يعطيها هذا الرقم ؟ يبدو أنى سأبحث عن ممرض جديد قريبًا .

ـ ما الأمر ؟ ألم نكن معًا منذ قليل ؟

سمعت صفيرًا يخرج من شفتى (أسامة) ، ثم سمعته يقول بلهجة خبيثة :

ـ (.. معـا) .

كتمت غيظى من هذا الموقف السخيف .. وقلت مشددًا على حروف كلماتى :

ـ فى العيادة .

قالت لى السيدة (ماجدة) عبر الهاتف :

ـ نعم يا دكتور .. ولكنى عندما عُدت إلى منزلى لم أجد عمتى .

ثم توقف صوتها .. ولا أعلم سر التوقف .. هل لفظت أنفاسها الأخيرة الآن ؟ أم ذهبت فى نوم عميق فجأة ؟ أم انقطع الخط .. أم إن جملتها انتهت ، وهذا هو الأمر المهم الذى طلبتنى بسببه .. قلت بحيرة :

ـ هل مازلتِ معى على الخط ؟

ـ نعم يا دكتور .

ـ الحمد لله أنكِ بخير .. أخبرينى الآن ما هو الأمر المهم الذى اتصلتِ من أجله ؟

لقد أخبرتك يا دكتور أنى عدت ولم أجد عمتى بالمنزل ؛ لذا أعتقد أن الحلم يتحقق الآن .. حلم موتها يا دكتور .

* * *

استأذنت (نادين) وأمها .. وأيضًا (أسامة) و خرجت مسرعًا .

كان حديث السيدة (ماجدة) مريبًا ..

لقد ذكرتنى بحلم موت عمتها .. حلم حادث السيارة المريع .

وخروج عمتها من الشقة جعلها تعتقد أن الحلم يتحقق الآن .. أن عمتها صدمتها سيارة أو ستصدمها بعد قليل .

لذا فكرت فى الذهاب إليها لأستفهم أكثر وأعرف منها الأماكن التى اعتادت عمتها الذهاب إليها ونبحث عنها هناك وبالتأكيد سنجدها .

لكن .. قبل تنفيذ ذلك فكرت فى إجراء اتصال مهم ..

وأجريته بالفعل .

وعرفت من هذا الاتصال معلومة غيرت كل خططى وتقديرى للموقف .. وبعدما كان تفكيرى محصورًا فى البحث عن السيدة (نرجس) .. أصبحت أفكر فى كيفية إنقاذها .. وهل سأستطيع قبل فوات الأوان .. أم إن الحلم قد تحقق بالفعل ؟

لقد عرفت من هذا الاتصال أن زوج السيدة (ماجدة) قد هرب ..

لقد هرب (الطباخ) .. (طباخ الأحلام) .

* * *

قال (أسامة) لعمته بعد خروجى مباشرة :

ـ أعتقد أنها هى نفسها السيدة التى خرج معها من المستشفى .

قالت عمته :

ـ هل أنت متأكد ؟.. هل أخبرتك باسمها ؟

ـ لا .. ولكن الصوت .. طريقة التحدث .. أراهن أنها هى .

ـ ربما .

لم يتوقف (أسامة) عند هذا الحد .. فقد التفت إلى (نادين) ليسألها فى خبث :

ـ هل الدكتور معتاد على الخروج مع مرضاه هكذا والتحدث معهم فى الهاتف .. حتى فى هاتف منزلك ؟

ـ لم تستطع (نادين) الرد .. كانت تفكر فيما يقوله .. لذا ظلت صامتة .

لم يرض (أسامة) بهذا الصمت فتابع قائلاً بخبث :

ـ أعنى .. هل يفعل هذا مع جميع المرضى .. أم إن هذه المريضة حالة خاصة ؟

قالت (نادين) محاولة طرد الخواطر السوداء وتغيير دفة الحديث :

ـ أين هى زوجتك ؟ لقد أخبرتنا أنك تزوجت وأنجبت .. فأين هى ؟ وأين الطفل ؟

ـ أنا لست متزوجًا .

قالت عمته مندهشة :

ـ ماذا ؟ لقد أخبرتنا أنك تزوج ...

قاطعها قائلاً :

ـ نعم .. ولكنى لم أعد متزوجًا الآن .

ـ يا إلهى .. هل ماتت ؟

ـ لقد طلقتها واحتفظت هى بالابن لصغر سنه .

ـ ولماذا طلقتها ؟

ـ اكتشفت أنها ...

وتوقف للحظات .. كأنه يبحث عن لفظ مهذب لا يجرح به آذان السامعين ثم قال :

ـ تفكر فى رجل آخر .

وانتظر قليلاً ليسمع تعليقًا منهما ، ولكنه لم يتلق أى تعليق فتابع قائلاً :

ـ لذا طلقتها .. ولكنها كانت تستحق أكثر من ذلك .. كانت تستحق القتل ، ولكنى لا أستطيع .. طبيعتى الهادئة تمنعنى .. وفى نفس الوقت لا أريد أن يتربى ابنى وأمه ميتة .. وأبوه سجين .

قالت عمته :

ـ خيرًا فعلت يا ولدى .. ولكن ألا تقلق على تربية ابنك فى ..

قاطعها قائلاً بلهجة حاسمة :

ـ عندما يكبر سأستعيده منها .. ومن يدرى ؟ ربما وجوده معها الآن يوقظ ضميرها .

قالت عمته وهى تربت على كتفه :

ـ أيعنى هذا أنك صرت وحيدًا الآن ؟

قال بمنتهى الهدوء :

ـ نعم .. وعدت من جديد أبحث عن عروسة .

ورمق (نادين) الجالسة فى شرود بنظرة خاصة عقب تلمته الأخيرة .

عروسة !!

* * *

7 ـ الموت المفاجئ ..

قالت السيدة (ماجدة) :

ـ أين ذهبتِ ؟ لقد قلقت عليكِ كثيرًا .. أين كنتِ ؟

ردت عليها السيدة (نرجس) قائلة :

ـ لقد ذهبت لزيارة قبر عمكِ .. ووالديكِ .

كنا جالسين معها فى حجرة الجلوس فى شقة السيدة (ماجدة) ابنة أخيها التى قالت :

ـ لماذا لم تنتظرى حتى عودتى ؟.. لماذا لم تخبرينى قبل ...

لم أستطع سماع الباقى بسبب بكائها .. فقلت لعمتها :

لقد سألنا عنكِ كل سكان العمارة .

قالت مندهشة :

ـ لماذا كل هذا ؟ أنا لست طفلة صغيرة .

نهضت من مكانى وقلت :

ـ على أى حال .. لقد اطمأننا عليكى .. سأستأذن أنا .

نهضت السيدة (نرجس) من مكانها وقالت بقلق :

ـ لحظة يا دكتور .. هناك أمر تخبئانه عنى .

قلت ببساطة :

ـ لا .. لا يوجد أى شىء .. لقد عادت ابنة أخيكِ من الخارج فلم تجدكِ .. فاتصلت بى فجئت على الفور .

ـ ولماذا تتصل بك ؟ كان بإمكانها استدعاء البواب أو التحدث مع جارتها (حسناء) .. لماذا لجأت إليك أنت تحديدًا ؟

ـ ربما أكون أول شخص خطر ببالها .. ولكن ما يحيرنى كيف عرفت بمكانى وبرقم الهاتف .

قالت السيدة (ماجدة) وهى تمسح دموعها :

ـ لقد اتصلت بك فى العيادة فأخبرنى الممرض بمكانك ولكنه لم يعطنى الرقم .. الرقم كنت أعرفه .

لا أعتقد أنها قد رأت الرقم فى أحد أحلامها .. لذا سألتها مندهشًا :

ـ كيف ؟

ـ لدىَّ خاصية إظهار رقم الطالب فى هاتفى ولقد اتصلت بى من هناك من قبل .

ـ متى ؟

ـ ألا تتذكر ؟ عندما أردت إبلاغى أنك استطعت إنقاذها فى اللحظة الأخيرة(*) .

لقد تذكرت الموقف .. أما السيدة (نرجس) لم تفهم شيئًا مما نقوله ، فقالت :

ـ يبدو أن هناك أمورًا كثيرة بينكما لا أعرفها .

قلت بلهجة حاسمة :

ـ لا يوجد أى شىء .. تصبحا على خير .

واتجهت إلى الباب .. ولكن استوقفتنى السيدة (ماجدة) وقالت بمودة :

ـ شكرًا جزيلاً يا دكتور .

أما السيدة (نرجس) استوقفتنى قائلة :

ـ هناك سر تخبئانه عنى .. وسوف أعرفه .

* * *

ـ « عرفت السر يا دكتور » .

(*) راجع العدد الأول : حالة الحاسة السادسة

هذه هى أول جملة سمعتها عندما رفعت سماعة الهاتف لأوقف صوت رنينه العالى :

ـ آلو .. من المتحدث أولاً ؟

ـ أنا (نرجس) .

ـ أهلاً وسهلاً .. كيف حالكِ ؟

ـ لقد عرفت السر الذى تخبئانه .

ـ أى سر ؟

لا داعى للإنكار يا دكتور .. لقد عرفت كل شىء .. ولا أرى أى داع لهذا القلق .. إن الأمر لا يحتاج إلى كل هذه السرية .. لقد حلمت المسكينة بموتى وتخشى أن يتحقق هذا الحلم مثل بقية أحلامها .

ـ هل هى بجوارك ؟

ـ لا .. إنها نائمة الآن ؟ لقد انتهزت فرصة نومها لأتصل بك .

استرخيت على سريرى ونظرت إلى المنبه بجوارى فوجدته يشير إلى التاسعة .. لم أكن أعلم أن السيدة (ماجدة) تنام مبكرًا هكذا .. ولكن ما الفائدة إن كانت تصحو دائمًا بسبب كابوس لعين .. قلت لعمتها :

ـ حسنًا .. كيف جاءتك هذه الفكرة ؟

إنها ليست فكرة .. إنها الحقيقة .. لقد عرفت كل شيء من مذكراتها .

مذكراتها ! يبدو أنها عرفت بالفعل كل شيء .. قلت مستسلمًا :

ـ حسنًا .. طالما أنك عرفت بالأمر .. يجب أن تعلمى أن ...

قاطعتنى قائلة :

ـ يا دكتور .. وفر حديثك .. الأعمار بيد الله وأنا مؤمنة بالقدر خيره وشره .. وكلنا سنموت عاجلاً أو آجلاً .

ـ أحسنتِ القول .. ولكن أخبرينى .. أين عثرتِ على مذكراتها ؟

كنت أريد أن أعرف المكان الذى خبأت فيه السيدة (ماجدة) مذكراتها .. لقد أوصيتها أن تضعها فى مكان لا يمكن أن يصل إليه مخلوق غيرها .. فأين وضعته ؟

قالت السيدة (نرجس) ببساطة :

ـ فى درج مكتبها الأيمن .

صحت مندهشًا :

ـ درج مكتبها !.. وهل يُغلق بمفتاح ، أم بقفل ؟

ـ لا .. أبدًا .. درج عادى .. لماذا تسأل ؟

قلت محاولاً كتمان غيظى من ابنة أخيها :

ـ لا عليكِ .. أخبرينى أنتِ : هل كنتِ تودين إخبارى بشيء غير معرفتكِ بالحلم ؟

ـ نعم .. لقد قرأنا فى هذه المذكرات أشياء غريبة وعجيبة ومريبة .

قلت مندهشًا :

ـ (قرأنا) !.. هل قرأت ابنة أخيكِ مذكراتها معكِ ؟

ـ لا طبعًا .. لقد قرأناها .. أعنى أنا وجارتنا (حسناء) .

قلت ساخرًا .. ولم أستطع كتمان غيظى هذه المرة :

ـ وهل هناك آخرون قرءوها ؟ لماذا لا تفكرون فى طبعها ونشرها فى كتاب ؟

ـ لا تقلق يا دكتور .. لم يقرأها غيرنا .

هل قرأتموها كاملة ؟

ـ نعم .. ولكنها لم تذكر تفاصيل حلم موتى .. هل أخبرتك به ؟

قلت بسرعة حتى لا تشك فى الأمر :

ـ لا .. ولكن هل قرأتها كلها حقًا ؟

ـ بالحرف .. ولكن أعتقد أن هناك مذكرات أخرى غيرها ؛ لأنه كُتب على غلاف هذه المذكرات (يومياتى .. الجزء الخامس)

قلت متعجبًا :

ـ (الجزء الخامس) ! هل أنت متأكدة أنك تتحدثين عن مذكراتها و ليس عن (ليالى الحلمية) ؟

ـ طبعًا يا دكتور .. هذه مذكراتها ومكتوبة بخط يدها الذى أعرفه جيدًا .

ـ هل يمكنك أن تخبرينى بتاريخ أول يوم فى هذه المذكرات ؟

فأخبرتنى به .. كان تاريخًا قديمًا .. يسبق اقتراحى بكتابة المذكرات ..

وهذا يعنى أنى اقترحت عليها الفكرة وهى تنفذها بالفعل .

قلت للسيدة (نرجس) عبر الهاتف :

ـ حسنًا .. ما هو الأمر الذى أردتى إخبارى به ؟

لم أسمع صوتها للحظات .. يبدو أنها ترددت قليلاً قبل أن تقول :

ـ لقد حلمت أيضًا بموتك .. وأردت أن أخبرك فربما يهمك أن ...

قاطعتها قائلاً :

ـ حلم موتى .. أعرفه .. لقد أخبرتنى به .. يبدو أن هذه المذكرات قديمة جدًا .

لا .. لا أعتقد أنك تعرف هذا الحلم .. لأنها تقول هنا أنها حلمت به بالأمس .

بدأ القلق يساورنى فقلت لها مترددًا :

ـ هل الحلم يتعلق بشىء يسقط من أعلى .. أو هجوم من أعلى .. شىء كهذا ؟

ـ لا .. أبدًا .. لا توجد هنا كلمة (أعلى) إطلاقًا .

هذا يعنى أن السيدة (ماجدة) حلمت بموتى ..

مرة أخرى .

استجمعت شجاعتى وقلت لها بهدوء شديد :

ـ أخبرينى بالحلم .

ـ سوف أقرؤه لك .

ـ تفضلى .

أسمع صوت تقليب صفحات فقلت لها :

ـ أخبرينى به الآن و باختصار شديد .. وبعد ذلك اقرئى لى التفاصيل ..

ـ ثوانى يا دكتور .. ها هى الصفحة .

تفضلى ..

ـ تقول هنا أنها رأتك فى الحلم تموت ...

ثم توقفت .

لماذا يتوقفون دائمًا فى اللحظات المهمة ؟ قلت لها وأنا أحاول إخفاء لهفتى لمعرفة حلم موتى :

ـ أكملى .. أكملى حديثك عن الحلم .. ماذا كتبت ؟.. هيا .. آلو .. آلو .. هل مازلتى على الخط ؟.. آلو ..

شعرت بالتوتر فى كلماتها وهى تقول :

ـ يا إلهى .. لقد سمعت صرختها .. يبدو أنه كابوس جديد .. لابد أن أكون بجوارها الآن .. سوف نكمل حديثنا فيما بعد .. سلام يا دكتـ ...

وأنهت المكالمة .

وضعت السماعة فى هدوء و فكرت فى مسألة الحلم ..

هل التاريخ يعيد نفسه ؟ هل ستتحقق أحلامها من جديد ؟ لقد تحقق حلم هروب الطباخ .. وطالما هرب يمكن أن يحقق أحلامها من جديد .. ولكن .. هذا سيحدث فقط إذا استمع إلى أحلامها .. ولكن لماذا سيسعى لتحقيق أحلامها ؟

لقد حققها من قبل من أجل إثارة جنونها والحصول على ثروتها .. أما الآن فلا يمكنه الاستفادة من تحقيق أحلامها سوى من أجل الغرض الأول فقط .. ولكن .. لا أعتقد أنه مهووس بإثارة جنونها .

وهناك احتمال آخر .. هو أن أحلامها تتحقق سواء كان هناك طباخ أو لا .. والدليل أنها حلمت بهروبه قبل أن يهرب بالفعل ولا أعتقد أن هناك محقق أحلام فى موضوع هروبه .

ولكن كل هذا لم يشغل تفكيرى بقدر حلم موتى .. كنت أريد معرفة بقية الحلم .. مجرد فضول لا أكثر ولا أقل .. ويجب على من يقص الحلم أن يستكمله .

انتظرت اتصال من السيدة (نرجس) تشرح فيه أكثر مسألة حلمى ..

ولقد جاءنى اتصال بالفعل ..

ولكنه ليس من السيدة (نرجس) ..

كان من ابنة أخيها .. سيدة الأحلام .. الفراشة السوداء :

ـ آلـو .

ـ دكتووورر

ـ من ؟

ـ لقد تحقق الحلم يا دكتووووورر

ـ اهدئى و أخبرينى .. أى حلم تقصدينه ؟

ـ عمتى ماتت .. صدمتها سيارة .. لقد تحقق الحلم يا دكتور .

* * *

8ـ الحـــادث ..

ـ « البقاء لله » ..

قلتها للسيدة (ماجدة) فانهارت باكية من جديد وقالت :

ـ عمتى ماتت يا دكتور .. لم يعد لى أحد فى هذه الدنيا .

لا تقولـى هـذا .. كلنـا بجـوارك .. وإذا احتجـتِ أى شـــىء لا تترددى فى الاتصال بى .

قالت وسط دموعها :

ـ شكرًا يا دكتور .. أنت أطيب إنسان رأيته فى حياتى .

ـ أنا لا أفعل سوى الواجب .

ثم تلفتُ حولى وسألتها :

ـ أين جارتك (حسناء) ؟

ـ أعتقد .. فى المطبخ .. لماذا تسأل عنها ؟

ـ كنت أريد أن أسألها عن شىء .. لا تقلقى .. سأعود علـى الفور .

فى طريقى إلى المطبخ تأملت شقتها بعد أن خلت من المعزيين وتأملت صورة عمتها المعلقة على الحائط .. ودعوت لها .

وفى المطبخ ..

وجدت السيدة (حسناء) .. طبعًا تتذكرون (حسناء) .. تلك الجارة التى حلمت السيدة (ماجدة) باحتراق شقتها يومًا وبالفعل تحقق الحلم(*) .

مازلت أتذكر ما قالته الفراشة السوداء عنها ..

* * *

- إنها جارتى (حسناء) .. سيدة جميلة جدًا .. مهذبة جدًا .. أرملة .. لم تتزوج منذ وفاة زوجها .. قررت أن تعيش حياتها من أجل رعاية أبنائها فقط .

* * *

قلت للسيدة (حسناء) :

- أرجو أن تنفذى ما طلبته منكِ .

- لا تقلق يا دكتور .. سأبيت معها .. وكنت سأفعل ذلك دون أن تقول .

(*) راجع (حالة الحاسة السادسة) .

- جزاك الله خيرًا .. أنت تعلمين أنها الآن بحالة سيئة ويجب أن يكون هناك من ..

قاطعتنى قائلة :

- أعلم ذلك يا دكتور .. وإنى حزينة جدًا من أجلها .. ولو أن هناك أى شىء آخر أستطيع تقديمه لها أخبرنى به وسأنفذه على الفور .

لا .. هذا كل شىء .. فقط حاولى أن تصرفى نظرها عن الأمر .. يجب ألا تفكر فى عمتها كثيرًا .. تحدثى معها فى أى موضوعات أخرى .

قالت بصوت منخفض وعلى وجهها ابتسامة كبيرة جدًا لا تناسب موقفنا هنا :

- لا تقلق من هذه الناحية .. أنا ثرثارة جدًا ومرحة جدًا .. أحب التحدث والمزاح أكثر من أى شىء .. أكثر من الطعام نفسه .

ابتسمت بهدوء قائلاً :

- يبدو أن السيدة (ماجدة) لن تحتاج إلى زيارة عيادتى مرة أخرى .

اختفت ابتسامتها وسألتنى فجأة :

ـ قلت لى ماذا تعمل ..

هل ذاكرتك ضعيفة أم إنك تريدين التأكد من قوتها ؟

ضربت جبهتها بشدة وقالت :

ـ آه .. تذكرت .. طبيبًا نفسيًا .

ـ الحمد لله أنكِ تذكرتِ .

وجالت بخاطرى كلمات السيدة (نرجس) عبر الهاتف .. فى مكالمتها الأخيرة ..

* * *

نعم .. لقد قرأنا فى هذه المذكرات أشياء غريبة وعجيبة ومريبة .

* * *

لا طبعًا .. لقد قرأناها .. أعنى أنا وجارتنا (حسناء) .

* * *

لقد حلمت أيضًا بموتك .. وأردت أن أخبرك فربما يهمك أن ..

* * *

أخبرينى به الآن وباختصار شديد .. وبعد ذلك اقرئى لى التفاصيل ..

ثوانى يا دكتور .. ها هى الصفحة .

تفضلى ..

تقول هنا أنها رأتك فى الحلم تموت ...

* * *

سألت السيدة (حسناء) والفضول يتملكنى لمعرفة حلم موتى :

ـ هل كنت تقرئين مذكرات السيدة (ماجدة) ؟

ـ لا .. أبدًا .. لم يحدث هـ ..

قاطعتها حتى لا أضيع وقتى و ... وقتها :

ـ لا داعى للإنكار .. لقد أخبرتنى السيدة (نرجس) أنكما كنتما ..

قاطعتنى قائلة :

ـ اخفض صوتك حتى لا تسمعنـ ...

وبترت جملتها لتخرج من المطبخ بسرعة .. ثم عادت بعد دقيقة .. وقالت هامسة :

ـ إنها لا تحب أن يطلع أحد على مذكراتها .. ولو علمت بهذا ستغضب منى جدًا .. إنها تحرص على إخفائها عنا .

قلت ساخرًا :

ـ تخفيها بوضعها فى درج مكتبها الأيمن .

نظرت لى مندهشة وقالت :

ـ يبدو أن السيدة (نرجس) أخبرتك بكل شىء .

للأسف لم تخبرنى بكل شىء .. أو بمعنى أصح لم تخبرنى بأهم شىء .. قلت لها :

ـ المذكرات ..

ـ لو أنك تريد المذكرات .. لا أستطيع إحضارها لك لأنها ...

ـ لن أطلب منكِ هذا .. أنا أريد أن أسألك عن جزئية معينة فى هذه المذكرات .

صمتت للحظات .. تفكر فى أمر ما .. ثم قالت فجأة :

ـ حلم موتك .. أنت تريد أن تسأل عن حلم موتك .. أليس كذلك ؟

لمحت الذكاء يطل من عينيها فقلت :

ـ بالضبط .

ـ أنت د.(ياسين العوضى) إذن .

تعجبت أنها تكتشف هذه الحقيقة الآن .. على أى أساس كانت تتحدث معى طيلة اليوم ؟ قلت لها كاتمًا غيظى :

ـ تمام .. أنا د.(ياسين العوضى) .

ضربت كتفى برقة ، وقالت :

ـ أنا أعلم يا دكتور .. كنت أمزح معك .

كانت تمزح ! من الواضح أنها مرحة فعلاً .. يبدو أن السيدة (ماجدة) ستأتى إلى عيادتى المرة القادمة لتشكو من مرح جارتها الزائد عن الحد .

ـ حسنًا .. أخبرينى الآن باختصار ما عرفته عن حلم موتى .

ـ للأسف يا دكتور .

قلت منزعجًا :

ـ ماذا ؟ هل سأموت بطريقة شنيعة ؟

ـ لا .. ولكن المسألة أننى لم أقرأ هذه الجزئية .. لقد قرأتها السيدة (نرجس) فقط .

ـ ماذا ؟

ـ ولكن لا تقلق .. أعدك أنى سأحاول قراءة المذكرات من جديد متى سنحت لى الفرصة لذلك .

تأتى الرياح دائمًا بما لا تشتهى السفن ..

ماتت السيدة (نرجس) بحادث سيارة كما جاء فى حلم ابنة أخيها .. هرب الزوج كما جاء فى الحلم أيضًا .. إن أحلام الفراشة السوداء تتحقق بالفعل .

كيف أقنع السيدة (ماجدة) أن أحلامها لا تتحقق وأنا أراها تتحقق أمامى ؟ وطالما أنها حلمت بموتى فيجب أن أعلم تفاصيل الحلم حتى أحاول منع تحقيقه .

ولكن كيف أعرف حلم موتى وقد ماتت السيدة (نرجس) ؟

ضحكت السيدة (حسناء) ضحكة خافتة ثم ضربت كتفى مرة أخرى وقالت :

ـ لا تحزن يا دكتور .. كنت أمزح معك .. لقد قرأت حلم موتك .. لقد قرأت المذكرات كاملة .. بالحرف .

يبدو أن جارتها مرحة جدًا جدًا جدًا .

سألتها بسرعة :

ـ لا وقت للمزاح الآن .. أخبرينى ما الذى قرأتِه بالضبط ؟

ـ تقول فى مذكراتها أنك ستموت بالـ ...

ـ « دكتور .. أين أنت ؟ »

هذا صوت السيدة (ماجدة) .. يبدو أنها آتية إلى المطبخ .. قلت لجارتها :

ـ حسنًا .. سنكمل حديثنا فيما بعد .

ـ بالتأكيد يا دكتور .

كتمت غيظى من الجارة المرحة ، وخرجت لأتحدث مع السيدة (ماجدة) وأطمئن عليها .

ـ أنا هنا .. كيف حالك الآن ؟

ـ لا بأس .

ـ حسنًا .. هل تريدين أى شىء منى قبل الانصراف ؟

ـ هل ستنصرف الآن ؟

ـ نعم .. لقد تأخر الوقت جدًا ويجب أن أعود إلى منزلى .. سوف أتركك الآن ، وأنا مطمئن .. لأن جارتك ستبيت معك .

ـ لكن ..

ـ لا أريد أى اعتراض .. يجب عليكِ أن تعتادى على تنفيذ نصائح الطبيب .

ظهر شبح ابتسامة على شفتيها .. ثم قالت :

ـ حاضر يا دكتور .. وشكرًا على تعبك معى .. لقد قضيت اليوم كله هنا .. وتركت عيادتك و ...

لا تشغلى بالكِ .. أريدكِ أن تذهبى الآن إلى السرير وتنامى نومًا عميقًا .

وقلت مودعًا إياها :

أحلامًا سعيدة .

إن أكثر ما تتمناه هذه السيدة هى ..

الأحلام السعيدة ..

سواء كانت من النوع الذى يتحقق ..

أو .. لا .

* * *

ـ « أين كنت بالأمس ؟ »

قالتها (نادين) غاضبة ، وقبل أن أجيب أكملت :

ـ لم تكن موجودًا فى عيادتك .. أين كنت ؟

ـ لقد ماتت عمة السيدة (ماجدة) فذهبت إليها أعزيها .

ـ طوال اليوم يا دكتور .. هل تفعل ذلك مع بقية المرضى ؟

أشعر من حديثها أنها تغير منها .. هل هذا ممكن ؟ قلت لها :

ـ إنها ...

بترت جملتى عندما سمعت صوت الهاتف .. فنهضت أميرتى لترفع السماعة وتجيب :

ـ آلو .. نعم .. موجود .. من الذى يريده ؟

ثم قالت وعلى وجهها أطنان من الغضب :

ـ السيدة (ماجدة) تريدك يا دكتور .

وللمرة الثانية تتصل السيدة (ماجدة) بمنزل خطيبتى لكى تحادثنى .. فى المرة الأولى كانت تبلغنى بغياب عمتها .. كانت تخشى أن يتحقق حلم موتها .

ولكن عمتها ميتة الآن .. تُرى ما الخبر الذى تريد أن تبلغنى به هذه المرة ؟

حاولت تذكر أحلامها التى لم تتحقق بعد .

لا يوجد سوى حلم موتها (اخبرتنى به) وحلم موتى (أخبرتنى به عمتها) .

ولا أعتقد أن الحلم الأول قد تحقق طالما أنها تكلمنى ولا أعتقد أن الحلم الثانى قد تحقق طالما أننى موجود .

- كيف حالكِ ؟

- بخير يا دكتور .. ولكنى أريد أن أتحدث معك .

- تحدثى .

- لا .. لن يصلح الهاتف لهذا الحديث .

- حسنًا .. تعالى إلى العيادة .

- لا .. لا أستطيع الخروج من المنزل .

- لماذا ؟

- سأشرح لك عندما تأتى .

- ماذا ؟!

- هل يمكنك أن تحضر إلى منزلى ؟ أعرف أنه طلب صعب ، ولكن الأمر عاجل وضرورى ولا يحتمل التأجيل .

- لكن ..

- أرجوك يا دكتور .. إن الأمر عاجل .. هل يمكنك أن تحضر الآن ؟

- إلى هذه الدرجة .

- أرجوك .

- حسنًا .. سأخرج الآن متجهًا إلى منزلكِ .

وأنهيت المكالمة .. تُرى ما هو الأمر العاجل الذى تحتاجنى فيه ؟

قالت (نادين) غاضبة :

- هل ستذهب إلى منزلها .. والآن ؟

- إنها مريضة .. والأمر عاجل .. سأتصرف الآن ، وسوف أتصل بكِ من العيادة .

- وما هو الأمر العاجل الذى تحتاج فيه هذه السيدة إلى طبيب نفسى ؟ هل ستموت مثلاً إذا لم تُجْرِ لها جراحة نفسية ؟

لم أتقبل سخريتها .. فكرت فى الرد عليها ولكن الوقت ضيق .. لابد أن أذهب إلى السيدة (ماجدة) بسرعة .. لقد أقلقتنى كلماتها .. تُرى ما هو (الأمر العاجل) ؟

أما أميرتى فقالت بصوت حزين :

لا ترهق نفسك بالاتصال .. وفر وقتك لمرضاك يا دكتور .

عقلى مشغول بعشرات الاحتمالات لهذا (الأمر العاجل) الذى تحدثت عنه السيدة (ماجدة) .. فقلت :

ـ لا أريدك أن تغضبى منى هكذا .. أنت تعلمين مقدار حبى لكِ يا (ماجدة) .

ازدادت نيران الغضب اشتعالاً فى عينى (نادين) وقالت بصوت مختنق سمعته بصعوبة :

ـ اسمى .. (نادين) .. يا دكتور .

ـ يا إلهى ..

لقد ارتكبت أكبر خطأ يمكن أن أرتكبه مع هذا الملاك .

ـ أقصد .. ثانى أكبر خطأ .. لأن حادث السيارة مازال الخطأ الأكبر على الاطلاق .

أما الخطأ هذه المرة هو أنى ناديتها باسم امرأة أخرى .. وليست أى امرأة أخرى .. لقد ناديتها باسم المرأة التى تغير منها .

وللأسف الوقت لا يسمح بالاعتذار ثم تفسير الأمر ثم تهدئة الأمور ..

الوقت يسمح بالاعتذار فقط .

ولكن أميرتى المسكينة أسرعت إلى غرفتها باكية ، فعرفت أن الوقت لا يسمح حتى بالاعتذار .

* * *

وصلت إلى شقة السيدة (ماجدة) ..

فتحت لى جارتها (حسناء) الباب ، وعندما دخلت قابلتنى السيدة (ماجدة) بابتسامة ترحاب .. سلمت عليها ثم سألتها بضيق :

ـ ما هو الأمر العاجل الذى لا يحتمل التأجيل ؟

ـ لقد حلمت بموتكِ يا دكتور .

قلت و صورة (نادين) الغاضبة لا تفارق ذهنى :

ـ عادى .. لقد فعلتها من قبل ولم يتحقق .. أرى أن الموضوع كان يمكن تأجيله .. لا يمكن وصفه أبدًا بـ (الأمر العاجل) ؟

طبعًا لم أخبرها أنى علمت بأمر هذا الحلم من عمتها السيدة (نرجس) رحمها الله .

قالت بكل جدية :

عاجل .. لأن هذه هو لقاؤنا الأخير .

لماذا تقولين هذا ؟ هل ستذهبين إلى طبيب آخر ؟

قالت شاردة :

لا .. بل سأرحل إلى عالَم آخر .

سألتها بقلق :

ـ ما الذى تعنينه ؟

قالت بمنتهى الغموض والقسوة والرهبة :

ـ سأموت اليوم يا دكتور .

* * *

9 ـ الجلسة الأخيرة ..

استرخت السيدة (ماجدة) على الأريكة وقالت بكل مأساوية :

ـ هذا آخر يوم فى حيا ...

قاطعتها قائلاً :

ـ هل قررت الانتحار واستدعيتنى لتخبرينى بوصيتكِ الأخيرة ؟

ـ لم أقل أننى ..

قاطعتها من جديد :

يجب أن تعلمى أن الانتحار كفر ، ولا يمكن أن ينهى إنسان عاقل حياته بمعصية الله .. ولو أن مشاكلنا أكـ ..

قاطعتنى هى هذه المرة :

ـ لم أقل أننى سأنتحر .. لقد قلت أنى سأموت اليوم ؛ لأن هذا هو قدرى .. كما رأيت فى الحلم .

قلت لها مندهشًا :

ـ هل تريدين إعطائى سببًا لإقدامك على الانتحار ؟ تنتحرين وتقولين بأن هذا هو ما رأيته فى الحلم ، وأن هذا هو قدرك .

نظرت لى بغضب و صاحت بأعلى صوتها :

ـ لن أنتحر يا دكتووووووور .

قلت بصوت هادئ حتى لا أثير غضبها أكثر :

ـ حسنًا .. ما الذى ستفعلينه اليوم ؟

قالت لى بكل ثقة :

ـ لا شىء .. سأنتظر الموت .

ـ حسنًا .. هل استدعيتنى لأنتظر الموت معكِ ؟ أم لأشاهدك وأنت تموتين أمامى ، وتقولين فى لحظاتكِ الأخيرة « هل صدقتنى الآن يا دكتور .. ألم أقل لك أن أحلامى تتحقق ؟ ».

قالت بكل حكمة و وقار :

ـ أنا سأموت اليوم يا دكتور .. فهل تعتقد أنى سأهتم بمسألة تصديقك لأحلامى ؟

ـ حسنًا .. هل هناك شيئًا آخر تريدين إخبارى به غير حلم موتك ؟

ـ أنا لم أخبرك بحلم موتك بعد .

ـ لا أريد أن أعرفه .

قالت وعلى شفتيها ابتسامة غامضة :

ـ يا دكتور .. هذه هى الجلسة الأخيرة .. أى فرصتك الأخيرة لمعرفة حلم موتك .. وأنا مستعدة أن أجيبك عن أى سؤال بشأنه .. أنا موجودة الآن .. لن تجدنى غدًا .

ـ سأنصرف .

ـ لكن ..

ـ سلام .. ألقاكِ قريبًا .

ـ لن يحدث هذا للأسف .

ـ سألقاكِ قريبًا إن شاء الله .

ثم نهضت من مكانى ، فسألتنى :

ـ ألا تريد أن تعرف حلم موتك ؟ فكر فى الأمر .. ربما لو أخبرتك ..

قاطعتها قائلاً :

ـ لا أريد سماع أى أحلام .. ولو أن هذا هو اليوم الأخير لكِ فاقضيه فى الصلاة أو فى قراءة القرآن الكريم أو سماعه أو قراءة الكتب الدينية .. لا أن تشرحى أحلامكِ وتفسرينها .

واتجهت إلى باب الشقة لأخرج .. استقبلتنى جارتها (حسناء) فقلت لها هامسًا :

راقبيها جيدًا .. لا تتركيها وحدها أبدًا .. خاصة اليوم .. لاتغيب عن عينيكِ لحظة .. ولو حدث أى شىء اتصلى بى .

ـ اطمئن يا دكتور .

ثم توجهت إلى السيدة (ماجدة) وربتت على كتفها وضمتها إليها قائلة :

ـ سأظل بجوارك .. لن أتركك أبدًا .

قلت لسيدة الأحلام :

ـ أنا مطمئن عليكِ طالما أنها بجوارك .

نظرت السيدة (ماجدة) إلى جارتها وقالت بغموض :

ـ من يدرى ؟

لم تنتبه جارتها لما قالته .. ولا إلى التلميح الغامض المريب فى كلماتها البسيطة .. قلت :

ـ هل تريدين منى أى شىء الآن ؟

ـ نعم .. سؤال بسيط .

ـ لو بخصوص الأحلام .. أنا لست مفسر أحلام .. أنا طبيب نفسى .

ـ وأنا أريد الطبيب النفسى .

ـ حسنًا .. تفضلى .. ما هو سؤالك ؟

ـ فلنجلس أولاً ..

وهكذا عدنا من جديد لمقاعدنا وذهبت جارتها لتعد عصيرًا فى المطبخ .

* * *

ـ « هل يمكن أن أحلم بمن أريد ؟ »

قالتها بغموض .. فسألتها :

ـ ماذا ؟

ـ لقد فكرت فى مسألة أحلامى .. وجدتها عبارة عن كوابيس تتحقق .. وأنا بالطبع أحلم بالذين أعرفهم .. ولقد ضربت لى يا دكتور أمثلة عديدة عن كيفية تكون الأحلام .

ـ نعم .. أكملى .

قالت بغموض أكثر ـ أعتقد أن لقب (سيدة الغموض) مناسب لها جدًا ـ :

- هل يمكننى أن أحلم بشخص ما لو ركزت تفكيرى عليه ؟

- ممكن جدًا .. ولقد حلمت بالفعل بأشخاص لا تعرفينهم مثل صديقى .

- حديثك رائع .. السؤال هو : هل هناك طريقة لأزيد بها تركيزى فى شخص ما فأحلم به ؟

ضحكت قائلاً :

- يكفى أن تفكرى فيه كثيرًا .. ومع (سيدة أحلام) مثلكِ .. تعيش وتنمو على الأحلام أؤكد لكِ أن هناك عشرات الأحلام ستتوالد عن هذا الشخص .

- للأسف .. حاولت وفشلت .

سألتها بقلق :

- ما الذى تعنينه ؟

التقطت نفسًا عميقًا وقالت :

- سأخبرك بالأمر طالما أن هذه هى جلستنا الأخيرة .. لقد فكرت أن أستغل أحلامى .. إن أحلامى دائمًا عبارة عن كوارث تتحقق .. وهذا يعنى أنى لو حلمت بشخص ما فسوف أحلم بكارثة تحدث له .. وبالتالى ستحدث نفس الكارثة له فى الواقع .. فلماذا لا أحلم بالأشخاص الذين أكرههم ؟

صحت مندهشًا :

- هل تريدين استغلال أحلامك فى التخلص من أعدائك ؟

قالت ومن عينيها تطل نظرة شيطانية :

- يا دكتور .. لم لا أستغل هذه الموهبة طالما أننى لا أستطيع التخلص منها ؟

ابتسمت من تفكيرها العبقرى .. وقلت لها :

- حسنًا .. هل يمكنكِ أن تخبرينى بالشخص الذى فكرتِ أن تتخلصى منه .. أعنى تحلمى به ؟

- لماذا تسأل ؟

- مجرد فضول .

- إنه المحامى الشهير (راجى عكاشة) .

- والسبب ؟

- ماذا تعنى ؟

- أقصد .. لماذا تريدين التخلص منه ؟

- إنه محامى زوجى ولو ربح القضية .. سيفلت زوجى من العقاب .

ـ لذا قررت التخلص منه عن طريق الأحلام .

ـ بالضبط .

أعتقد أنى عرفت الآن من هو الضحية التالية بعدى ..

هذا لو أنها ظلت على قيد الحياة لتحلم .. بالتأكيد سوف تحلم به .. لكن : هل ستستطيع التحكم فى أحلامها ؟

فوجئت بها تقول :

ـ وللأسف .. كلما فكرت فيه لأحلم به .. أجدنى نفسى أحلم بك .. فى كل مرة أحلم بك .. ولهذا حلمت بك مرات كثيرة .. ما الذى يعنيه هذا ؟

لم أقل : (يبدو أنك تفكرين فىَّ أكثر منه) ؛ لأنها ستقود لجملة : (يبدو أنك مشغولة بى) .. وهذه الجملة لها معنى عاطفى خطير .. قلت لها ضاحكا :

ـ ربما لأنك ترغبين فى التخلص منى أكثر منه .

قالت بتعجب :

ـ أنا ! أبدًا ... لا تقل هذا يا دكتور .

فكرت فيما قالته .. أعنى مسألة التخلص ممن تكرههم عن طريق أحلامها .. وتساءلت : هل كانت تكره خطيبتى ؟ ربما ..

ـ هل كانت تكره الصحفى الشهير ؟ ممكن .. هل كانت تكره صديقى ؟.. أأ .. لا أدرى .

والسؤال الأهم : هل فكرت فى هذه الخطة الشيطانية هذه الأيام أم منذ اكتشافها أن أحلامها تتحقق ؟

هل كانت تعلم أن زوجها يحقق أحلامها قبل أن أخبرها بذلك ؟

هل هناك محقق أحلام الآن و تريد استغلاله ؟

هل أصبحت تحقق أحلامها بنفسها ؟

سألتها قائلاً :

كيف ماتت عمتك ؟

حادث سيارة كما أخبرتك .. وكما رأيت فى الحلم .

وهل كان الحادث فى الواقع كما رأيته فى الحلم بالضبط ؟

لا أعلم .. لأنى لم أرى الحادث .. لقد وصلنى الخبر عن طريق الهاتف .. والخبر الذى نشر بالجريدة لم يكن به أى صور .

هل استطاعوا الإمساك بالجانى ؟

لا .. للأسف .. لقد فر مسرعًا بسيارته ، فلم يستطع أحد التقاط الرقم .

ـ ألم يصف أحد شكل السيارة ؟

ـ أقوال الشهود اختلفت .

صمتت لثانية ثم قالت بثقة :

ـ ولكنه ليس زوجى .

طبعًا لم أخبرها بمسألة هروب زوجها من السجن حتى لا ترقص احتفالاً بأن أحلامها تتحقق وأننى مخطئ دائمًا وأنها على حق حتى آخر يوم فى عمرها .

فوجئت بها تقول :

ـ أنت تعلم أن زوجى قد هرب من السجن ، وأن حلم هروبه قد تحقق .

ـ هرب !

ـ ولكنك لا تعلم أنهم قبضوا عليه فى نفس اليوم ؛ ولهذا أقول لك أنه ليس الفاعل .

ـ ماذا ؟

ـ لقد ماتت عمتى فى حادث عادى .. والحذر لا يمنع القدر يا دكتور .

ثم مدت يدها إلى الصينية و أعطتنى كوب العصير .

لم أسألها متى جاء العصير حتى لا أبدو أمامها شاردًا ولكن .. كيف لم أنتبه لجارتها وهى تضعه أمامنا ثم تدخل المطبخ من جديد ؟.. هل كنت مشغولاً بالحديث معها إلى هذا الحد ؟.. والسؤال الأهم : هل أحلامها تتحقق .. ودون فعل فاعل ؟

أم إن هناك محقق أحلام ؟

هل ستموت الفراشة السوداء اليوم ؟

ولو ماتت .. هل يعنى هذا أن أحلامها تحقق ؟ وهل يعنى هذا أن حلم موتى سيتحقق أيضًا ؟

تُرى ما الذى تخبئه لنا الأيام من مفاجآت ؟

لم أكن أعلم أن هناك مفاجأة فى انتظارى بمجرد خروجى من شقة السيدة (ماجدة) .. كنت أهبط الدرج عندما فوجئت بآخر شخص أتوقع رؤيته هناك ..

لقد وجدت أمامى (أسامة) ..

(أسامة شوكت) .

* * *

سألت (أسامة) مندهشًا :

ـ ما الذى أتى بك هنا ؟

رد مرتبكًا :

ـ كيف .. حالك .. يا .. دكتور ؟

ـ لم تجب سؤالى بعد .. ما سبب دخولك هذه العمارة ؟

قال بمزيد من الارتباك :

ـ لا .. أبدًا .

ـ هل دخلت هذه العمارة بسبب (لا .. أبدًا) ؟

ـ لا .. أقصد .. أعنى .. هناك ذلك الطبيب .. طبيب أسنان هو .. فى هذه العمارة .. وأتيت من أجل .. ضرسى .. ضرسى يؤلمنى جدًا .. هل لديك أى خبرة فى الأسنان يا دكتور ؟

ابتسمت قائلاً :

ـ لا .. كل ما أعرفه فى هذا المجال هو أن أسنانى حادة .

حاول (أسامة) أن يبتسم لكنه فشل فى المحاولة .. قلت له بهدوء شديد :

ـ لا يوجد أى أطباء أسنان فى هذه العمارة .

ضرب جبهته بيده اليسرى وقال محاولاً الابتسام :

ـ يبدو أنى أخطأت العمارة .

قلت مبتسمًا :

ـ أنا آسف جدًا .. لم أجب سؤالك بعد .. أنا بخير .. كيف حالك أنت ؟

ومددت يدى له ليسلم علىَّ وهكذا اضطر أن ينقل ما يحمله بيده اليمنى إلى يده اليسرى .. وبعد السلام والترحيب سألته :

ـ ما هذا الشىء الذى تحمله ؟

قال مرتبكًا وهو يظهر لى يده اليسرى وما تحمله .

ـ لا .. أبدًا .. إنها كاميرا .

تأملت الكاميرا وسألته ساخرًا :

ـ هل تذهب إلى طبيب الأسنان ومعك كاميرا ؟

- لا .. أصل الـ ...

قاطعته قائلاً :

- أتدرى ؟ أنا محتاج إلى هذه الكاميرا بشدة الآن .

وأخذتها منه عنوة فقال معترضًا :

- ولكن يا دكتور ...

- إنه أول طلب أطلبه منك .. لا تخذلنى .

- ولكن .. الكاميرا بها فيلم .. كنت أريد تحميض الـ ...

- سوف أحمضه لك .. وعلى نفقتى الخاصة .. هل هناك أى شىء آخر ؟

لم يستطع التفوه ببنت شفة وبدا عليه الانزعاج والقلق الشديد ، فقلت مبتسمًا :

- على فكرة .. كنت أمزح معك .. يوجد أطباء أسنان فى هذه العمارة .. لكن .. أنت لم تخبرنى بعد باسم الطبيب الذى تقصده ؟

تأخر فى الإجابة .. طبعًا كان يحاول اختراع اسم أو تذكر واحد .. قلت له وأنا أهبط الدرج مسرعًا ، فلا داعى لانتظار إجابة مبتكرة :

- ألقاك قريبًا يا (أسامة) .

وتأملت الكاميرا .. وتساءلت : ما هى الصور التى يحتويها الفيلم بداخلها ؟

ولماذا دخل (أسامة) هذه العمارة ؟

وهل ستموت السيدة (ماجدة) اليوم ؟

* * *

10 ـ الدليـــــل ..

مر اليوم ببطء شديد ..

جلست بجوار الهاتف فى عيادتى .. لا أريد أن أذهب إلى خطيبتى فيأتينى هاتف من السيدة (ماجدة) هناك .

توقعت أن يدق الهاتف فى أى لحظة .. وانتظرت ..

وانتظرت .. وانتظرت و ...

دق جرس الهاتف أخيرًا

ـ آلو .. ماذا ؟.. من ؟.. الرقم خطأ .

مرت ساعات طويلة ولم أتلق الاتصال إياه .. هل يعنى هذا أنها لم تمت ؟ هل يعنى هذا أنها ماتت ؟ لا أدرى .

ومرت الليلة دون أن أتلقى أى اتصال .. هل هذا يعنى أن الأمور جيدة ؟

* * *

فى اليوم التالى اتصلت بالسيدة (ماجدة) لأطمئن عليها .. هل ماتت ؟ هل ما زالت حية ؟ أسئلة من هذا النوع الغريب الذى لم أعتاد عليه بعد .

ـ آلـو ..

هذا هو صوت جارتها .. السيدة (حسناء) .. سألتها :

ـ هل هى بخير ؟

ـ من ؟ د. (ياسين) ؟

ـ نعم .. أنا د.(ياسين) ... هل هى بخير ؟

ـ من يا دكتور ؟

هذه الأسئلة تستفزنى .. بالتأكيد أسأل عن السيدة (ماجدة) .. مريضتى والتى باتت معها .. لا يحتاج سؤالى إلى سؤال .. أجبتها بهدوء :

ـ أسأل عن السيدة (ماجدة) .

ـ نعم .. إنها بخير .

ـ هل هى بجوارك ؟

ـ لا .. إنها نائمة بالداخل .. هل أوقظها ؟

لا .. لا .. لا تفعلى أرجوك .

هنا سمعت صوتًا آخر يقول :

ـ هل هذا د.(ياسين) ؟

كان صوت السيدة (ماجدة) ثم سمعت جارتها تقول :

ـ نعم هو .. متى استيقظتِ ؟

ـ أعطنى السماعة .

ثم سمعتها تقول لى :

ـ كيف حالك يا دكتور ؟.. ما هو شعورك الآن ؟

ـ سعيد .

ـ سعيد لأنى مازلتى حية ؟

ـ بالتأكيد .

ـ سعيد لأن حلم موتى لم يتحقق وهذا يثبت وجهة نظرك .

ـ أتمنى من كل قلبى أن تدعى مسألة الأحلام هذه جانبًا ، ولا تفكرى فيها أبدًا وعيشى حياتكِ بصورة طبيعية .

ـ لماذا اتصلت يا دكتور ؟

ـ ما هذا السؤال ؟! .. لقد اتصلت لأطمئن عليكِ .

ـ لا .. أنت اتصلت ؛ لأن لديكِ شكًا بأن حلمى قد تحقق بالأمس .

ـ فى الواقع ..

قاطعتنى قائلة :

ـ أحلامى تتحقق يا دكتور .. وطالما أنى لم أمت بالأمس فهناك احتمال كبير أن أموت اليوم ، وسوف ..

قاطعتها قائلاً :

ـ أنتِ عنيدة .. لا تريدين تصديق أن أحلامك تحققت فقط ؛ لأن هناك من قام بتحقيقها .. لقد تمت بفعل فاعل .

ـ لا .. أحلامى تتحقق ودون أى تدخل .. ودون أن أحكيها .. وسأعطيك الدليل .

ـ أى دليل ؟

ـ الدليل على صدق كلامى .

ـ تفضلى .

ـ حادث خطيبتك .

سألتها مندهشًا :

ـ ماذا ؟

ـ لقد رأيت الحادث فى أحلامى .

ـ ماذا ؟

ـ ولا أعتقد أن الذى صدمها بسيارته قد عرف شيئًا عن هذا الحلم .. ولو أنه علم به لا أعتقد أنه صدمها بسيارته ليحقق أحلامى .

ـ ماذا ؟

ـ وسنتأكد من ذلك إذا عرفنا أن الذى صدمها بسيارته هو خطيبها .. حبيبها .

كانت تتحدث بسخرية واضحة .. سألتها كاتمًا غيظى :

ـ من الذى أخبرك ؟

ـ لم يخبرنى أحد .. لقد رأيت الحادث فى منامى .. بالتفصيل وبصورة واضحة .

ـ لو أن كلامكِ صحيحًا لماذا لم تخبرينى بهذا الحلم ؟

ـ لأنك لن تصدقنى .. ولأنى خشيت أن أحكيه لأحد فيتحقق .

ـ ولكنه تحقق دون أن تحكيه .

ـ وهذا يؤكد كلامى .. أن أحلامى تتحقق دون أن أحكيها .

لقد أوقعتنى .. لقد جعلتنى أقول ما تريد سماعه .. لم أجد شيئًا أقوله سوى :

ـ هذا إن كنت قد رأيت هذا الحلم حقًا .

ـ لقد رأيته .. ولدى الدليل على ذلك .

ـ أى دليل ؟

ـ هل يعرف أحد أنك صدمت خطيبتك بسيارتك سواك ؟

كان حديثها مقنعا .. كونها تعرف الحقيقة يعنى أنها رأت الحادث بالفعل فى أحلامها .. أو رأته فى ..

ـ ربما رأيتِ الحادث أمامكِ فى الواقع .

ـ أنت تعلم جيدًا أنى لم أخرج من البيت فى تلك الأيام .. فكيف سأراه ؟

ـ ربما أخبركِ به أحد .

ـ وهل هناك من يعرف هذه الحقيقة المؤلمة ؟ طبيب يصدم خطيبته بسيارته .

سمعت ضحكاتها العالية عبر السماعة ثم ..

ـ ونعم الخطيب ! ونعم الحبيب !

ثم تذكرت (أسامة) .. فسألتها :

ـ هل أخبركِ (أسامة) بذلك ؟

ـ (أسامة) من ؟

يبدو أنها تسمع هذا الاسم لأول مرة .. ويبدو أنها رأت الحادث فى منامها بالفعل .

ـ ولكنكِ عندما أتيت إلى المستشفى كنتِ تشكين أننى المصاب .

ـ كنت قلقة جدًا عليك عندما أخبرونى أنك فى المستشفى ، ولكن عندما علمت أنها خطيبتك تذكرت الحلم ، وضحكت من قلبى على فعلتك .

ـ حسنًا لماذا لم تخبرينى بعدها أنكِ حلمت بذلك .. مع العلم أنكِ تحبين قضاء وقتكِ فى ذكر أحلامكِ التى تتحقق .

ـ خشيت أن تغضب منى ؛ لأنى لم أخبرك بالحلم قبل ذلك .

ـ ولماذا أغضب ؟

ـ لأنى لو أخبرتك قبلها كنت ستتخذ الاحتياطات اللازمة وتحاول ألا تصدم خطيبتك بالسيارة .

ثم سمعت ضحكاتها العالية من جديد .. وهذه المرة كانت الضحكات طويلة ثم ..

ـ وكأنه أمر طبيعى أن يصدم الرجل خطيبته بين الحين والآخر .. ربما تعبير عن مدى وفائه لها .

لم أهتم بتعليقاتها الساخرة ولا ضحكاتها المستفزة ..

كان عقلى مشغولاً بالتفكير فى الأمر .. هل حقًا رأت هذا الحادث فى حلمها .. أم أخبرها أحد بالحقيقة ؟ ربما أخبرها (أسامة) .. ولكن ما علاقة (أسامة) بها ؟.. وتذكرت أنى رأيته فى العمارة التى تسكن بها .. ما الذى كان يفعله هناك ؟ ولماذا كان يحمل كاميرا ؟ لابد أن أرى الصور التى التقطها بها ربما استطعت التوصل لشىء .. لكن ..

لو أنها حلمت بالحادث فعلاً لماذا لم تخبرنى ؟

هل أرادت ألا يتحقق ولهذا لم تحكه لأحد ؟

أم أرادت أن يتحقق ولهذا لم تحكه لى ؟.. لأنها لو حكته لى ربما أمتنع عن ركوب السيارة تمامًا حتى لا يتحقق الحلم .. أو أبيع السيارة نفسها .. أو أحرقها حتى لا أصدم بها أعز مخلوق إلى قلبى .

الموضوع محير .. وجدت نفسى أسألها على الفور :

- هل تكرهين (نادين) ؟

* * *

فى منزلى ..

رأيت الصور .. الصور التى التقطها (أسامة) بالكاميرا .. طبعًا قمت بتحميضها على حسابى وأنا لا أعلم لمن هذه الصور .. تمنيت ألا تكون صور لـ (أسامة) وهو يحلق ذقنه .. أو يدخن سيجارًا .. أو يلعب (استغماية) مع رفاقه أو أى شىء تافه آخر .

لكن الصور كانت لى ..

لا أعتقد أن (أسامة) يحبنى للدرجة التى تدفعه لملاحقتى وتصويرى فى أماكن عديدة .. لكن الصور لم تكن لى وحدى ..

صور كثيرة كانت تجمعنى مع السيدة (ماجدة) .. ما الذى كان يريده (أسامة) بالضبط من هذه الصور ؟.. ما هدفه من وراء ذلك ؟.. هل كان يريد أن يرسل هذه الصور لخطيبتى ، ليزرع بداخلها شكوكًا تجاهى ؟

واتصلت بـ (أسامة) ..

- شكرًا على هذه الصور الجميلة .

- ماذا ؟

- ولكن لماذا تجهد نفسك بتصويرى ؟ لو أنك طلبت صورًا لى كنت سأعطيك أفضل صور عندى وأعطيها لك .

- ..... .

- سأحتفظ بهذه الصور .. هل لديك مانع ؟

- ..... .

- أما أن تصور مرضاى .. فهذا شىء آخر لا أقبله أبدًا .

- لم أكن ...

- يا (أسامة) .. ابتعد عنى وابتعد عن مرضاى .

- يا دكتور .

- أعتقد أن كلامى واضح .

وأنهيت المكالمة ..

أعتقد أنى انتهيت من موضوع (أسامة) بهذه المكالمة .. سأرسل له الكاميرا وسأمزق الصور التى التقطها لى .

أما السيدة (ماجدة) فلم أتصل بها .. كنت أريد أن أثبت لها ولنفسى أنى لا أصدق أحلامها .. رأيت أن اتصالى بها سيؤكد لها تصديقى لأحلامها لذا لم أتصل .

وهناك سبب آخر ..

لقد تضايقت كثيرًا من إجابتها عندما سألتها : هل تكرهين (نادين) ؟ لقد أجابتنى على الفور بدون تردد : (نعم) .. ثم قالت بغيرة شديدة (إنها لا تستحقك .. لا أعرف ما الذى يعجبك فيها .)

أتساءل الآن : هل خططت هى و(أسامة) لهدم علاقتى بـ (نادين) ؟.. السيدة (ماجدة) ترى أن (نادين) لا تستحقنى .. و(أسامة) يرى أنى لا أستحق (نادين) .. أو يرى أنه أولى بها .

هل كانت تتعمد السيدة (ماجدة) الاتصال بى عند خطيبتى ؟ هل تعمدت أن تزورنى فى المستشفى أمامها ؟ هل طلبت من (أسامة) أن يصورنى معها ؟

إن الشيطان اللعين يلعب بعقلى ويصور لى احتمالات بعيدة مخيفة ..

ومر يوم ..

ومر يوم ثان .. وثالث ..

ولم أتلق أى اتصال من السيدة (ماجدة) أو من جارتها ..

وقررت الاتصال فى اليوم الرابع .. لن أصبر أكثر من ذلك .

اتصلت على شقة السيدة (ماجدة) .. لم يرد أحد .. شعرت بالقلق .. فاتصلت على شقة جارتها (حسناء) .. لقد أعطتنى رقم هاتفها تحسبًا للظروف ..

ـ آلـو .

ـ آلو .. أنا د. (ياسين) .

ـ أهلاً يا دكتور .. كيف حالك ؟

ـ الحمد لله .. كيف حالكم أنتم ؟ وكيف حال السيدة (ماجدة) ؟

ـ ألا تعرف ؟

قلت بقلق :

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ البقاء لله .

اعتصرت السماعة بيدى وقلت مترددًا :

ـ هل ..... ؟

أجابتنى بالإجابة التى لم أكن أريد سماعها أبدًا :

ـ لقد ماتت يا دكتور .

* * *

11 ـ مصرع فراشة ..

أقف أنا والسيدة (حسناء) داخل شقة السيدة (ماجدة) .. قلت لها :

ـ الحمد لله أن معك مفتاحًا لهذه الشقة .

ـ المفتاح سيظل معى حتى يظهر لها ورثة فأعطيه لهم .

تجولت فى المكان وتأملت صورتها المعلقة على الحائط ثم قلت :

ـ أخبرينى مرة أخرى كيف حدث ذلك .

ـ كما أخبرتك ماتت مسمومة .. كما رأت فى أحلامها بالضبط .. لقد حلمت المسكينة بموتها .

ـ ما الذى أكلته بالضبط ؟

ـ بيتزا .. جاء عامل توصيل الطلبات بها .. أكلتها .. شعرت بآلام رهيبة فى بطنها .. ذهبت بها إلى المستشفى .. ماتت هناك .

ـ ألم يُتهم أحد فى هذا الموضوع ؟

ـ لا .. المطعم أخلى مسئوليته .. ويقول أن أحدًا هنا دس لها السم .. ومازال التحقيق فى الأمر مستمرًا .

- وما رأيكِ أنتِ ؟

- بالتأكيد المطعم هو المسئول لأنى متأكدة أنى لم أضع لها السم .. أم إن لديك رأيًا آخر يا دكتور ؟

قالتها ضاحكة رغم أن الظروف لا تناسب ذلك .. فوجئت بها تقول :

- طبعًا تتساءل لماذا تعبت هى ولم أتعب أنا .. سأقول لك ببساطة أننى لا أحب البيتزا .

- لم أفكر فى هذا السؤال لأنى توقعت هذه الإجابة .

- هل تعلم أنها امتنعت عن أكل ما تصنعه يدى بعد أن حلمت بموتها مسمومة ؟ لكنى لم أغضب منها لشكها فىّ .. لقد كانت تشك فى الجميع .. ومعها حق .. لقد كانت متأكدة أن أحلامها تتحقق .. ثم رأت نفسها فى الحلم تموت مسمومة .. بالتأكيد ستأخذ حذرها قبل أن تضع لقمة واحدة فى فمها .. ولو كان الأمر بيدها لامتنعت عن الأكل تمامًا .. ولكنها لن تستطيع .. لذا لجأت للأغذية المعلبة والمحفوظة .. رأت أنها أكثر أمانًا .. وأحيانًا تطلب طعامًا من الخارج .. وفى كل مرة كانت تغير المطعم .

سألتها :

- هل يمكن أن أطلع على مذكراتها ؟

- بالتأكيد يا دكتور .

واختفت بالداخل .. وبعد دقائق أحضرتها لى .

ما قرأته فى هذه المذكرات كان مثيرا للدهشة .. والتساؤل .

* * *

من مذكرات السيدة (ماجدة) ..

ماتت عمتى .. ماتت بنفس الطريقة التى حلمت بها .. إن أحلامى تتحقق فعلاً .. لكن ذلك الـ ... د.(ياسين) لا يصدقنى .

* * *

أخبرت د.(ياسين) اليوم بحلم حادث خطيبته .. أخبرته أنى رأيته وهو يصدم خطيبته بسيارته .. ظللت أضحك طويلاً بعد انتهاء المكالمة ، وأنا أتخيله يجلس شاردًا فى عيادته .. يفكر فى مسألة أحلامى .. هل سيصدقها الآن ؟

لقد أخبرته بحلم لا يمكن إنكار حدوثه وفى نفس الوقت لا يمكن تصديقه .. من هذا الشخص واسع الخيال الذى يمكن أن يتخيل أن شخصًا رائعًا طيبًا مثل د.(ياسين) يصدم خطيبته بسيارته ؟ خطيبته التى يحبها أكثر من أى شخص فى العالم .

لقد سألنى لماذا لم أخبره بهذا الحلم .. هل كان يتصور أنى سأخبره به ؟ حتى لو أخبرته .. هل كان سيصدقنى ؟ وإذا صدقنى فإنه سيتخذ الاحتياطات اللازمة .. ربما لا يركب سيارته أبدًا إذا شك أنها ستكون سببًا فى إلحاق الأذى بخطيبته أو موتها .. وإذا فعل ذلك فإنه لن يصدمها أبدًا .. وسيؤكد لى وقتها أن أحلامى لا تتحقق .

* * *

حاولت أن أحلم بذلك المحامى

نظرت إلى صورته مئات المرات .. وضعتها بجوار وسادتى ولا أنام قبل النظر إليها وكأنه حبى الوحيد .. يا للسخرية .

لقد فعلت ما بوسعى لأحلم به ولكنى لم أستطع ..

فى كل مرة يظهر د.(ياسين) فى الحلم ..

لماذا أحلم به فى كل مرة ؟ لماذا يشغل تفكيرى إلى هذا الحد ؟ أعتقد أنه لا يوجد سوى سبب واحد لهذا ..

يبدو أننى أحبه ..

لِمَ لا ؟

يبدو أننى تعلقت به .. يبدو أننى لم أعد أستطيع الاستغناء عنه .. يبدو أننى بحاجة إليه لكى يحمينى كما يفعل مع (نادين) .. لقد أنقذها فى اللحظة الأخيرة .. إنه بطل .

ولكنه صدمها بسيارته بعدها ..

لكن ..

هذا لا ينفى حبه الشديد لها .

ربما فعلها لأنه يحبها .. ربما هذا ما يفعله الخطيب مع خطيبته هذه الأيام ليعبر لها عن مدى حبه .. فى الماضى كان الحبيب يقول كلمة غزل فى حبيبته .. أو يعطيها وردة .. ربما يهديها ساعة .. أما فى الوقت الحاضر .. ربما يصدمها بسيارته .. بصراحة لم أعد أفهم شباب هذه الأيام ، ولا طريقة تفكيرهم ، ولا طريقة التعبير عن مشاعرهم .

ربما طلبت منه (نادين) هذا ، ربما طلبت منه أن يصدمها بسيارته ، ففعل .

لو ظللت حية فسوف أفعل المستحيل لأتزوجه ، حتى لو اضطررت لاستئجار قاتل محترف من أجل قتل (نادين) ، لن يقف أحد فى سبيل سعادتى بعد الآن ؛ حتى لو اضطررت لقتل الجميع .

* * *

ما أجمل الأحلام !

لقد حلمت أنى تزوجت مرة أخرى !

للمرة الأولى منذ سبعة وعشرين عامًا أحلم حلمًا جميلاً

كنت أرتدى فستانًا أبيض .. حملنى عريسى بذراعيه القويتين .. شعرت أنى أرتفع للسماء .. نظرت لحبيبى وقبلته .

ودخلنا عش الزوجية

عريسى هو ..

د.(ياسين العوضى)

* * *

لقد حلمت بموتى ..

سأموت مسمومة مثلما مات الكاتب الصحفى

لكن من الذى سيضع لى السم ؟

هل أمتنع عن الأكل لأعيش ؟ ولكنى هكذا سأموت ..

لن آكل بعد اليوم أى طعام من صنع أحد .. أنا لا أشك فى أحد ولكن الاحتياط واجب .. سوف أعتمد فى الأيام القادمة على الأغذية المعلبة أو ...

* * *

لقد حلمت بالدكتور ياسين .. حلمت بموته .. كان كابوسًا مريعًا .. لقد رأيته فى ...

* * *

سألت السيدة (حسناء) وهى تقدم لى عصير الليمون :

ـ أين بقية الصفحات ؟

ثم رفعت المذكرات أمامها لتراها وقلت :

ـ من الواضح أن هناك صفحات منزوعة .. أين هى ؟

تأملت المذكرات وقالت مندهشة :

ـ غريبة .. من الذى نزعها ؟! ومن الذى رآها أصلاً ؟ إن هذه المذكرات ظلت كما هى منذ وفاة صاحبتها .

ـ هل تعنين أنها هى التى قامت بانتزاعها قبل موتها ؟

ـ بالتأكيد .. لأنى متأكدة أن هذه المذكرات لا يعرف بشأنها سوى أربعة .. اثنين منهم ماتا هما السيدة (ماجدة) والسيدة (نرجس) واثنين آخرين ، هما أنا وأنت .

ـ ولماذا تنتزع السيدة (ماجدة) صفحات من مذكراتها ؟

ـ ربما أرادت ألا تقرأ هذه الصفحات ؟

ـ ماذا ؟

وجدتها تتفحص وتتصفح المذكرات وتقول :

ـ من الواضح أن الصفحات المفقودة هى الصفحات التى بها حلم موتك .. ربما كانت تعلم أنك ستقرأ هذه المذكرات وهكذا قررت أن تدارى عنك حلم موتك .

فكرت فى هذا الاحتمال .. يبدو منطقيًا ويناسب طريقة تفكير السيدة (ماجدة) .

لقد منعتها من سرد حلم موتى .. وهذا أغضبها جدًا .. ربما قررت أن تنتقم من عنادى بهذه الطريقة .. كانت تعلم أنها ستموت وإذا ماتت سأكون متأكدًا من صدق أحلامها .. لذا سألجأ إليها لأعرف حلم موتى وأتخذ احتياطاتى ولكنها ستكون ميتة ؛ لذا سألجأ لمذكراتها .. هنا قررت أن تعدم الوسيلة الأخيرة لمعرفتى .. يا لها من خطة .

ولكن .. هل كانت تعلم أن هناك من يقرأ مذكراتها .. مثل عمتها وجارتها ؟

سألتها وأنا أمد يدى لعصير الليمون وأبتسم بهدوء لأدارى لهفتى لمعرفة الحلم :

ـ طبعًا .. أنت قرأت هذه المذكرات ، بالكلمة والحرف والفاصلة .

ابتسمت مرة أخرى بهدوء أكثر وقلت :

ـ هذا يعنى أنك قرأت الصفحات المفقودة ؟

ـ نعم .. قرأتها وأتذكرها جيدًا .

حاولت دفن لهفتى وأنا أشرب عصير الليمون .. وقلت بهدوء أكثر وأكثر :

ـ هل يعنى هذا أنك تعرفين حلم موتى ؟

أجابت باقتضاب :

ـ نعم .

ـ حسنًا .. أخبرينى به .

لمحت ابتسامة خبيثة ترقص على شفتى السيدة (حسناء) ونظرة سخرية توجهها لى .. ثم قالت بغموض شديد :

ـ سيضع الطباخ لك السم فى عصير الليمون .

ثم سمعت ضحكاتها الشيطانية تنطلق فى المكان وأنا أتأمل كوب العصير الذى شربت معظمه .

العصير الذى أعدته السيدة (حسناء) لى .

جارة السيدة (ماجدة) ..

والوحيدة التى تعرف محتوى مذكراتها .

12 ـ أحلام خلف القضبان ..

« كنت أمزح معك يا دكتور .. »

قالتها السيدة (حسناء) ضاحكة بعد أن زرعت الشكوك بداخلى وتوقعت أن أسقط فى أى لحظة من تأثير السم .

يا لها من مزحة .

لقد هرب الدم من عروقى عند سماع حلمها المبتكر .. لقد اختارت عصير الليمون لتوحى لى أنها تنفذ أحلام السيدة (ماجدة) .

يبدو أن السيدة (ماجدة) كانت تعيش على الأحلام .. أما جارتها فتعيش على الدعابات .

قالت السيدة (حسناء) ضاحكة :

ـ سامحنى يا دكتور .. أنا أحب المزاح جدًا .. أحبه أكثر من الطعام نفسه .. ولم أستطع منع نفسى من استغلال هذه الفرصة من أجل المزاح .

ظللت صامتًا وهى تنظر لى ببلاهة ، وكأنها نسيت ما كنا نتحدث فيه فقلت محاولاً تذكيرها :

ـ الحلم .

ـ آه .. حلم موتك .. لقد نسيت .

ـ حسنًا .. تفضلى .. أخبرينى به .

أمسكت رقبتها بيدها اليمنى وقالت :

ـ ستموت مختنقًا يا دكتور .

ويبدو أنها بالغت فى تمثيل الدور .. ضغطت على رقبتها أكثر من اللازم لتشرح لى معنى الاختناق .. فبدأت تسعل .. وتُخرج أصواتًا وأشياء غريبة من فمها .

تجاهلت ما يحدث أمامى .. ربما كانت دعابة أخرى منها .. أو أنها تمادت بالفعل فى تمثيل الدور حتى انقلب الدور عليها .. وأنا لم أطلب منها هذا الأداء الدرامى .. أنا إنسان بالغ ويمكننى فهم كلمة (مختنق) بمجرد سماعها .

سألتها بعد هدوء الزلازل و البراكين التى انفجرت داخل فمها :

ـ ألم تشرح فى مذكراتها كيف سيحدث هذا ؟.. هل هناك يد طباخ حول رقبتى .. أو حبل .. أم نسى الطباخ أن يغلق أنبوبة البوتوجاز .. أم سيحاول أحدهم أن ..

ـ نعم .. الغاز .. ستموت مختنقًا من الغاز .

لو حاول الطباخ أن يخنقنى بحبل فهذا يعنى أن التاريخ يعيد نفسه .. لكن الغاز .. هذه طريقة جديدة بالنسبة لى .. لكنها ليست جديدة بالنسبة لـ (نادين) .

ـ هل تصدق أن أحلامها تتحقق يا دكتور ؟

تجاهلت سؤالها و أكملت قراءة المذكرات ..

ولكنى لم أكمل العصير أبدًا .

* * *

من مذكرات السيدة (ماجدة) ..

أخيرًا حلمت بمقتل المحامى ..

أخيرًا استطعت أن أحلم بمن أريد ..

ذلك الرجل أكرهه جدًا ..إنه يدافع عن زوجى باستماتة .. أخشى أن يكسب القضية .. المشكلة أنه يرى زوجى ملاكًا طاهرًا بريئًا و يعتقد أننى الشيطانة التى خططت لكل هذا .

لذا أتمنى موته .. حتى لا ينال زوجى البراءة ، وينال العقاب الذى يستحقه .

أما لو ظل ذلك المحامى على قيد الحياة فربما ينال زوجى البراءة على يديه .. برغم اعترافه بالجرائم التى ارتكبها .. ولكن ذلك المحامى بارع حقًا .

المهم .. أنى حلمت بموته ..

وهذا يعنى أنه سيموت ..

كان كابوسًا جميلًا .. كانت هناك امرأة تطبخ .. تسلل هو من ورائها وفجأة يفقد توازنه فيسقط من النافذة .. يطير جسده فى الهواء .. أسمع صراخه ثم يصطدم بالأرض .

لأول مرة أرى طباخة وليس طباخًا .. ربما كانت زوجته ودخل المطبخ ليداعبها فطوحت بالسكينة فى وجهه فخاف منها .. فسقط من النافذة .

ثم ..

السقوط من أعلى

يا له من حلم جميل ويا لها من ميتة مناسبة .. بصراحة لم أفكر فى موتة بهذه الطريقة .. كانت لدىَّ طريقة أشنع .

* * *

لقد عادت الأحلام تتحقق من جديد

ولكننا هذه المرة لا نجد سيدة أحلام أمامنا .. كل ما نملكه مذكراتها .. فهل ستتحقق الأحلام حتى بعد موتها ؟ هل هناك محقق أحلام آخر يقرأ هذه المذكرات ؟

لو أن أحلامها تتحقق دون أى تدخل خارجى فلن نستطيع منعها .. أما إذا كان هناك محقق أحلام بالفعل فيجب أن نبحث عن الطباخ بين الذين يعرفون أحلامها .

قائمة المشتبه فيهم .. الذين يعرفون أحلامها .. هم :

سيدة الأحلام .. السيدة (ماجدة) .. ماتت ..

عمتها .. ماتت .

الجارة المرحة .. حية ترزق .

جارتها هى الوحيدة التى تعرف أحلامها .. والآن هناك ثان وهو .. أنا .. بعد قراءتى لهذه المذكرات الآن .. ولأنى متأكد أنى لم أحقق أحلامها السابقة ولا أفكر حاليًا فى تحقيق أحلامها فهذا يعنى أن المشتبه فيهم شخص واحد فقط هو ..

* * *

السيدة (حسناء) ..

قدمت لى قصاصات الجرائد التى طلبتها .. طبعًا الذى يعرف السيدة (ماجدة) جيدًا يعرف أنها تحتفظ دائمًا بأخبار الحوادث وخاصة الحوادث التى رأتها فى أحلامها قبل أن تتحقق فى الواقع .

تصفحت الجرائد و كنت أبحث دائمًا عن الصفحات الممزقة .. ففى كل جريدة هنا ستجد دائمًا صفحة منزوعًا منها خبر عن حادثة .. حادثة حلمت بها الفراشة السوداء ثم تحققت .

كانت لدىَّ جميع القصاصات مرتبة حسب التاريخ ..

ولكنى كنت أريد التأكد من أمر ما .. هل فعلاً حلمت بهذه الحوادث قبل حدوثها ؟ أم قرأتها فى الجرائد ثم حلمت بها وكتبتها فى مذكراتها ؟

وبقليل من المهارة وبكثير من الصبر استطعت مطابقة كل قصاصة مع الجريدة التى نشرت بها ..

ثم جاء الوقت لمقارنة التواريخ .. تاريخ كتابة المذكرات وكل كابوس بها .. وتاريخ نشر الخبر الخاص بكل كابوس .

وبعد مجهود كبير جدًا اكتشفت أنها كانت تحلم بالحادث قبل وقوعه .. تاريخ كتابة الحلم يسبق تاريخ كتابة خبر الحادث ولكن ..

ربما غيرت تاريخ كتابة المذكرات .. ربما كانت تضع التاريخ حسب مزاجها .. كيف أتأكد من هذا ؟

وأثناء تفكيرى فى إجابة لهذا السؤال اكتشفت شيئًا خطيرًا

شيئًا يقلب كل الأمور رأسًا على عقب ..

ويضع احتمالات مخيفة ..

إلى أبعد الحدود .

* * *

أثناء بحثى فى الجرائد اكتشفت مجموعة مقالات بعنوان (أحلام خلف القضبان) ولأن ما يشغلنى حاليًا هو (الأحلام) .. فقررت أن أجرب قراءة هذه المقالات و أفهم فحواها .. كانت المقالات ببساطة شديدة عبارة عن مذكرات سجناء يرسلونها للجريدة ليتم نشرها .

هناك أحلام عن التوبة و المغفرة .. هناك أحلام عن البراءة والزمن الصعب .. هناك أحلام عن تدمير العالم ..

أما ما لفت انتباهى هو هذا الحلم الذى وجدته فى أحد الأعداد ..

* * *

أحلام خلف القضبان (134)

أحلم بها وهى تموت .. تلك المرأة التى ورطتنى فى كل هذا .. زوجتى (م) .. تلك الشيطانة الثرية .. أحلم بموتها مسمومة .

أحلم أيضًا بطائر ..... (كثير من الأحلام التى ليس لها أى معنى) .....

كتب هذه الأحلام

السجين (و) .

* * *

وفى عدد آخر يسبق هذا العدد ..

وجدت حلما آخر جذب انتباهى ..

* * *

أحلام خلف القضبان (131)

حلمت بموت عمة زوجتى .. السيدة (ن) .. تلك التى ادعت أننى كنت السبب فى مقتل أخيها .. حلمت بموتها فى حادث سيارة .

إن الحياة ..... (كثير من الفلسفة التى لا تدخل العقل وإذا دخلته فسوف تلوثه لذا لا داعى من ذكرها) .....

كتب هذه الأحلام

السجين (و) .

* * *

كما ترون .. (و) هو السجين .. و السيدة (م) هى زوجته التى حلم بموتها مسمومة .. والسيدة (ن) هى عمة زوجته والتى حلم بموتها فى حادث سيارة ..

اذا افترضنا أن (م) هى السيدة (ماجدة) والسيدة (ن) هى السيدة (نرجس) فهذا يعنى أن (و) هو زوج السيدة (ماجدة) .. أى الأستاذ (وليد) ..

استخدام الحروف الأولى بدلاً من ذكر الأسماء طريقة شهيرة جدًا .. ويتم استخدامها كثيرًا فى الجرائد والمجلات .. خاصة عندما يتعلق الأمر بالحوادث .. أو إشاعات مشينة عن نجوم الفن و رجال الأعمال .

لكن الحروف تدل بسهولة على الأسماء لو أنك تعلم الأحداث جيدًا أو تعرف أبطال القضية .. أو أبطال الإشاعات .

حاولت مقارنة تواريخ هذه المقالات مع تواريخ الحوادث فعرفت أن هذه المقالات كتبت قبل وقوع الحوادث وهذا يعنى أن هناك من قرأ هذه الأحلام وقرر تنفيذها .

احتمال قوى ..

ولو أن هذا الاحتمال صحيح فهذا يعنى أن عدد المشتبه فيهم كبير جدًا .. جميع من قرأ هذه الجريدة فى جمهورية مصر العربية ..

يمكننا تقليل العدد إلى الذين يتابعون أخبار الحوادث ويمكننا تقليلهم إلى الذين يتابعون هذه القضية ويعرفون أبطالها جيدًا ؛ لذا يستطيعون معرفة الأسماء الحقيقية لهذه الحروف بسهولة .. العدد ما زال كبيرًا .

أما لو كانت أحلام السيدة (ماجدة) التى جاءت بالمذكرات هى التى تتحقق ..

فهذا يعنى أن المشتبه فيهم واحد فقط ..

أعرفه جيدًا .

السؤال : هل أحلام السجين الأستاذ (وليد) هى التى تتحقق وليست أحلام الفراشة السوداء ؟

هل كانت الفراشة السوداء تقرأ الأحلام فى الجريدة ثم تنام فتحلم بها ؟

احتمال أيضًا .

كيف أصل لإجابة هذه الأسئلة ؟

بحثت عن أحدث حلم مكتوب فى هذه الجريدة لعلى أستطيع الوصول لإجابة .. حتى وجدته .. كان أحدث عدد من الجريدة .. قرأت فيه ..

* * *

أحلام خلف القضبان (137)

حلمت بموت ذلك الطبيب النفسى (ى) .. الذى خطط لدخولى السجن .. لقد نصب فخًا شيطانيًا لكى يتخلص منى .. لقد حلمت به يموت مختنقًا بالغاز ..... (كثير من السادية التى لن تعجب القراء) .....

كتب هذه الأحلام

السجين (و) .

* * *

طبعًا الطبيب (ى) هو أنا .. د.(ياسين العوضى) ..

وهذا معناه أن السيدة (ماجدة) و زوجها حلما بموتى .. وبنفس الطريقة فى الحلمين .

هناك ألف طريقة للموت لماذا اتحدا فى هذه الطريقة ؟

هل هذا يعنى أن موتى بهذه الطريقة شىء مؤكد ؟

* * *

13 ـ الطبيب والمحامى والصحفى ..

ذهبت لزيارة المحامى الشهير (راجى عكاشة) .

ذهبت لأحذره .. أخبرته بكل شىء .. المذكرات .. أحلام السيدة (ماجدة) .. حلم موته بالسقوط من أعلى .

حذرته من الاقتراب من أى نوافذ .. ومن الاهتمام بمسألة التوازن .. طبعًا لم أخبره بمسألة أحلام الأستاذ (وليد) التى تُنشر .. لأنها أحلام وكيله الذى يدافع عنه وبالتأكيد لم يحلم الأستاذ (وليد) بموت محاميه .. ولو أن أحلام الأستاذ (وليد) هى التى تتحقق فإن محاميه فى أمان .. أما لو كانت أحلام السيدة (ماجدة) هى التى تتحقق فإن هذا المحامى سيجرب الطيران قريبًا و لمدة وجيزة جدًا .

طبعًا لم يصدق المحامى كلمة مما أقوله ..

ـ د.(ياسين الـ ....) .

ـ (العوضى) .

ـ آه .. د.(ياسين العوضى) .. هل جئت اليوم لتحذرنى من السقوط من النافذة ؟

ـ فى الواقع أن أحذرك من حلم .. حلم قد يتحقق .

ـ هل أخبرك أحدًا من قبل أننى أفقد توازنى باستمرار ؟ أو أننى أطل برأسى كثيرًا من النوافذ كالأطفال ؟ أو أننى ...

قاطعته قائلاً :

ـ لم أقصد هذا .. ولكن لو أنك درست قضية موكلك جيدًا ستعرف أن زوجته دائمًا تحلم وأحلامها تتحقق .. اكتشفنا بعد ذلك أن زوجها هو الذى يحقق أحلامها ، ولكن هذا لا ينفى أن أحلامها كانت ...

قاطعنى قائلاً بصرامة شديدة :

ـ من فضلك .. لا أقبل هذا الحديث عن موكلى .. موكلى برىء .. لقد نصبت له زوجته الفخ .. وشهدت حضرتك فى صفها ..

قاطعته أنا هذه المرة قائلاً :

ـ لا .. يبدو أنك فهمت المسألة بصورة خاطئة .. ألم تعرف أن موكلك اعترف بكل جرائمه ؟

ـ لقد أجبرتموه على الاعتراف .. لقد ..

قاطعته من جديد :

ـ أتمنى أن تنزع من رأسك هذه الشكوك وتنظر للأمور من زاوية أخرى جديدة .

ابتسم قائلاً :

ـ أعدك ألا أفعل .

قمت من مكانى وقلت :

ـ على أى حال .. لقد جئت اليوم لأحذرك و فعلت ما يمليه علىَ ضميرى .

صاح قائلاً :

ـ هل تهددنى فى مكتبى ؟

كيف فهم الأمر بهذه الصورة ؟ قلت بمنتهى السرعة حتى لا تزداد الأمور سوءًا :

ـ أنا لا أهددك .. الموضوع كله يتعلق بالأحلام .. إن السيدة (ماجدة) كانت تحلم بهذه الـ ...

قاطعنى ليقول لى بمنتهى الخبث :

ـ وما علاقتك بالسيدة (ماجدة) بالضبط ؟

أجبت ببساطة :

ـ كانت مريضة عندى .

قال بخبث أكثر :

ـ مريضة فقط ؟!

ـ نعم .. ما الذى تلمح إليه بالضبط ؟

قال بهدوء :

ـ لقد أخبرنى موكلى أنه يشك فى وجود علاقة بينك وبين السيدة (ماجدة) ولهذا نصبتم له هذا الفخ لتتخلصوا منه .

ـ أنا لا أسمح لك .. السيدة (ماجدة) رحمها الله كانت سيدة شريفة .

ـ ألم يحاول موكلى قتلك بسبب شكه فى وجود علاقة ؟

ـ لقد حاول قتلى بالفعل .. ولكن لكى يحقق حلم موتى الذى ...

قاطعنى قائلاً :

ـ أنا لا أصدق موضوع الأحلام هذا .

ـ صدقه أو لا تصدقه .. المهم أن تصدق أن السيدة (ماجدة) سيدة شريفة .. ولم يكن بينى وبينها سوى علاقة طيبة .. كأى طبيب ومريضته التى يعالجها .. وللعلم أنا أحب خطيبتى جدًا وسنتزوج قريبًا .. و خطيبتى تكفينى عن كل نساء العالم .

ابتسم ابتسامة شيطانية وقال ساخرًا :

ـ وهل الذى يحب خطيبته يصدمها بسيارته ؟

كانت مفاجأة لى .. كيف عرف بهذا ؟ هل أصبح الموضوع معروفًا للجميع هكذا ؟ هل أذيع الخبر فى النشرة وتناقلته وكالات الأنباء ؟

ـ كيف عرفت ؟

ـ أهذا يعنى أنك بالفعل صدمتها ؟!

كررت سؤالى فقال :

ـ لدىّ مصادرى الخاصة .

أعتقد أن مصادره الخاصة هى (أسامة شوكت) .. بالتأكيد هو الذى أخبره بذلك .. ومن الواضح أن (أسامة) هو الذى أخبر السيدة (ماجدة) أيضًا .. وفعل ذلك ضمن مخطط كبير لإفساد خطبتى بـ (نادين) .. لذا لابد أن أحذر (نادين) منه .

* * *

ذهبت بعد ذلك للجريدة التى تنشر أحلام السجناء (أحلام خلف القضبان)

وقابلت الصحفى المسئول عن هذه المقالات .. كان اسمه (شادى سالم) وأخبرته بالموضوع .. كان رده :

ـ لا أصدق كلمة مما تقول .

هذه الجملة سمعتها منذ قليل .. آه .. قالها المحامى لى .

ـ أنا لا أطلب منك تصديقى .. أنا أطلب منك إيقاف نشر هذه المقالات ، وإلا ستكون سببًا لحدوث جرائم أخرى .

ـ من أنت لكى تمنعنى من نشر مقالاتى ؟

شرحت له من جديد أن هذه المقالات .. ليست مجرد مقالات .. إنها أحلام تتحقق .. وربما إذا أوقفنا نشرها نكون بذلك منعنا حوادث وجرائم من الحدوث .. هذا إذا كان هناك من يقرأها وينفذها حقًا .

ـ لا أصدق كلمة مما تقول .

قالها من جديد .. وما زال المحامى يحتل المرتبة الأولى فى تكرار هذه الجملة لى .

قررت شرح الأمر له من جديد .. لكن هذه المرة استوقفنى قائلاً :

ـ حتى لو كانت أحلام تتحقق .. لن أوقف نشر هذه المقالات .. هذه هى كلمتى الأخيرة حتى لا تضيع وقتى ووقتك .

قلت محاولاً إقناعه للمرة الأخيرة ..

ـ هل تتحمل مسئولية نشرها ؟ هل تتحمل مسئولية الجرائم التى يمكن حدوثها من وراء نشر هذه المقالات ؟

ـ أتحمل المسئولية الكاملة .

قالها ببساطة دون أن يدرك حجم المشكلة .. قلت له :

ـ حسنًا .. طالما أنك مصمم على نشرها .. هل يمكننى الإطلاع على الحلم الجديد ؟ حتى أحاول منع حدوثه .. أو تنبيه الضحية .

قال بهدوء :

ـ الجريدة ستصدر خلال ساعات .. يمكنك شراؤها من أى بائع جرائد .

نظرت فى ساعتى وقلت :

ـ ألا يمكننى معرفة الحلم الآن حتى أسبق المجرم فى معرفته بالحلم و ..؟

قال الصحفى ساخرًا :

ـ يبدو أن خيالك واسع .. تتخيل أن هناك من يتابع هذه الأحلام ويذهب لتنفيذها .. وتخشى أن يقرأ ذلك المجرم الحلم الأخير ويذهب لتنفيذه .. وتريد معرفة الحلم قبله لتمنعه .. هذا خيال جامح .

ـ ليس خيالاً .

ـ حسنًا .. إذا افترضنا أن هذا يحدث فعلاً .. ما الدافع وراء ذلك ؟ ما الذى يجعل شخصًا ما يقرأ أحلام فى جريدة ثم يذهب لتنفيذها ؟

قلت ببساطة :

ـ لا أعلم .

ابتسم قائلاً :

ـ هل فهمت ما أعنيه ؟ إن أى جريمة لها دافع .. هذا ما تعلمناه فى عالم الصحافة .. وطالما لا يوجد دافع لن توجد جريمة .

قلت معترضًا :

ـ قد تحدث الجريمة من دون دافع .. وللقتلة دوافعهم المختلفة .. وهناك شىء آخر لم تنتبه له فى حديثى .. لقد قلت أنى لا أعلم الدافع .. وهذا لا يعنى أبدًا أن المجرم ليس له دوافعه لارتكاب هذه الجرائم .. بل له دوافعه ، ولكنى لا أعلمها بعد .. وقد نظل أيامًا نفكر فى دوافعه بينما هو مستمر فى تنفيذ جرائمه .

بدا عليه التفهم ثم قال بهدوء :

ـ ضع نفسك مكانى .. واسأل نفسك .. ما الذى يدفع شخص ما لتنفيذ أحلام أقوم بنشرها ؟

صمت قليلاً ثم قال ساخرًا :

ـ إلا إذا كان يريد إكساب مقالاتى بعض الأهمية .. وإكسابى بعض الشهرة .

ضحكت قائلاً :

ـ ها أنت أعطيتنى دافعًا لم يخطر ببـالى من قبل .. ودافعًا معقولاً .. وهذا يؤكد أن الدوافع تختلف من شخص لآخر .

ضحك بطريقة عجيبة وقال :

ـ إذا كان هذا هو الدافع فهذا يعنى أن المجرم هو أنا .

مضت لحظة من الصمت الرهيب حتى شعرت أن مبنى الجريدة كله شاركنا هذا الصمت .. سألته لأحطم جبال الصمت :

هل ستقرأ لى الحلم الأخير ؟

أجاب باقتضاب :

لا .

مازال مصرًا على رأيه .. قمت من مكانى محبطًا .. لكنه سألنى :

ـ هل كل الأحلام تحققت ولم يبق سوى هذا الحلم الأخير ولهذا تريد معرفته ؟

ـ لا .

ـ هل هذا يعنى أن هناك أحلامًا لم تتحقق رغم نشرها ؟

ـ نعم .. حلم موتى .

بدا عليه التأثر فقلت مستغلاً تعاطفه معى فى هذه اللحظة :

ـ هل يمكننى معرفة الحلم الأخير ؟

ـ لا .

* * *

اتصلت بـ (نادين) ...

ـ كيف حالك يا أميرتى ؟

ـ بخير .

اعتذرت لها عن انشغالى عنها فى الفترة الماضية .. اعتذرت لها لأنى ناديتها باسم امرأة أخرى فى زيارتى الأخيرة لها .. اعتذرت لها عن تأخرى فى الاعتذار .. اعتذرت لها عن .. وعن .. وعن ...

لقد كثرت اعتذاراتى لها وهذا معناه كثرة أخطائى .. وهذا الملاك البرىء يسامحنى دائمًا .

يا لى من محظوظ .. ولكنى لا أعلم إلى متى سيظل الحظ بجانبى .

حذرتها من (أسامة) .. ابن خالها .. اعتقدت أنى أقول ذلك لأنى أغير منه .. فاضطررت لإخبارها بموضوع الكاميرا لأبين لها نواياه الشريرة .. وأبين لها أن المسألة ليست مسألة غيرة .. ولكن

الغيرة اشتعلت بداخلها .. عندما علمت أنى كنت فى زيارة للسيدة (ماجدة) فى منزلها .. فحاولت شرح الأمر لها .. وأن الطبيب يزور مرضاه أحيانًا ليطمئن عليهم .. هذا شىء طبيعى .. واقتنعت أميرتى بما أقوله .. أوهذا ما تصورته .

طبعًا لم أخبرها بموضوع الأحلام حتى لا أقلقها .. ولم أخبرها أن سبب عدم زيارتى لها هو الحرص على سلامتها .. فأميرتى المسكينة تعرضت للقتل أثناء معالجتى للسيدة (ماجدة) .. وهاهى الأحلام تعود من جديد وأخشى أن تتعرض أميرتى لنفس الموقف الصعب .. والتاريخ يعيد نفسه .. ولا أعلم هل سأستطيع إنقاذها هذه المرة .. أم سأكون ميتًا .

سمعت صوتها الرقيق الحنون الدافئ الناعم ..

ـ أين أنت يا دكتور ؟

ـ هه .. ماذا ؟

ـ من التى تشغل بالك هكذا ؟

ـ وهل هناك غيرها .. تلك التى تشغل قلبى أيضًا ؟

سمعت ضحكتها الجميلة وهى تقول :

ـ أتمنى أن أكون المقصودة بهذا الكلام .

ـ بالتأكيد أنت وهل هناك غيرك ؟

ـ صوتك يقلقنى .. هل أنت متعب أو .. ؟

ـ إرهاق بسيط من العمل .. لا تقلقى .

طبعًا لم أقل لها أن الموضوع كله قلق فى قلق .. فى قلق .. زائد قلق .. ناقص راحة بال .. على عقل واحد .. وهذا الواحد هو أنا .

هل يمكنك أن تحسب هذه العملية ؟

* * *

لو أخبرك أحد أنك ستموت الليلة أو ليلة الغد هل ستستطيع النوم ؟ بالتأكيد لا .. وهذا هوما حدث معى .. لم أستطع النوم .

قمت لعمل كوب شاى .. أتسلى به فى ليلتى الكئيبة أمام التلفاز .. وربما أظل مستيقظًا حتى صدور العدد الجديد من الجريدة فأنزل لشرائه .. باقى من الزمن ساعات وسألحق الطبعة الأولى من العدد .. لن أنتظر للصباح .

كنت واقفًا فى المطبخ أمام البوتوجاز أعد الشاى عندما تذكرت حلم السيدة (ماجدة) .. وتذكرت حلم زوجها أيضًا .. الاثنان حلما بموتى ..

مختنقًا بالغاز .

نظرت إلى أنبوبة البوتوجاز .. أشعر أنها ضيف غير مرغوب فيه بالشقة .. شعرت أنها مجرم خطير ينتظر فى مطبخى ليقتلنى فى أى لحظة .. لابد أن أتخلص منها .. على الأقل هذه الأيام حتى تتضح الأمور .

لكن كيف ؟

كيف أتخلص من تلك الـ ..... ؟

* * *

14 ـ أنا و ... جيرانى ..

قمت بتخليص الأنبوبة من صديقها البوتوجاز .. ورفعتها لأحملها فوق كتفى .

منظر الطبيب النفسى الذى يحمل أنبوبة البوتوجاز ليلاً ليزور جيرانه منظر مضحك فعلاً .. أضحكنى أنا شخصيًا .

هبطت الدرج وطرقت باب الجيران ..

ـ أهلاً يا د.(ياسين) .

ـ أهلاً بكم وكيف حالكم ؟

وبعد الترحاب والسلامات و(تفضل يا دكتور) .. أخبرتهم بمطلبى .

ـ هذه الأنبوبة .. ضعوها عندكم .. لا أريدها .

قال لى الأب .. الأستاذ (عبد القادر) :

ـ كيف يا دكتور ؟ لماذا ؟ ما الذى حدث ؟

ـ ضعوها فقط عندكم .. أنا لا أريدها فى الوقت الحالى .. استفيدوا منها أنتم .

ـ لا يا د.(ياسين) .. لا يصح أبدًا .. هداياك تغرقنا دائمًا .

ضحكت قائلاً وأنا أحاول منع نفسى من شرح الحقيقة كاملة :

ـ هذه ليست هدية .. صدقنى .. أنا فعلاً أريد التخلص منها .

ـ لا .. يا دكتور .. لا تقل هذا .. نحن نعرفك جيدًا .. وأنت رجل طيب حقًا ولا يمكن أن ننسى أبدًا ما فعلته لابنتنا (فوزية) .

نظرت إلى (فوزية) فأطرقت رأسها فى الأرض بخجل .. فقلت مبتسمًا :

ـ كيف حالها الآن ؟

ـ عال العال .. و الفضل يعود لله سبحانه و تعالى ثم لك .. لقد عالجتها من الاكتئاب الذى أصابها فى فترة الثانوية العامة .. الآن هى فى الطب .. بل و تنصح أخواتها إذا شعروا بالاكتئاب فى أى لحظة .

سعدت جدًا لحديثه ثم فوجئت به يقول :

ـ وتريد أن تكون طبيبة نفسية .. مثلك يا دكتور .

صحت فجأة :

ـ لا .

قال الأب مندهشًا :

ـ لماذا يا دكتور ؟

طبعًا لن أشرح له العذاب والمعاناة التى أعيشها مع كل حالة .. وأشياء أخرى لا يصدقها عقل .. ومنها ما أمر به الآن .

قلت له ضاحكًا :

ـ لا .. حتى لا تكون منافسة لى .

ضحك الأب وقال :

ـ لن يستطيع أحد منافستك أبدًا يا دكتور .

استقبلت كمًا كبيرًا جدًا من المجاملات .. وكل ما أريده الآن هو أن يجاملونى ويقبلوا هذه الأنبوبة .. كهدية .. كضيف .. المهم ألا تظل فى بيتى .. لكن ..

ـ أبدًا يا دكتور .. بل تفضل أنت أنبوبة هدية منا .

ثم نادى الأب على ابنه (أكرم) ..

و(أكرم) هذا بطل كمال أجسام .. أشعر أنى نملة عندما أقف بجواره .

ـ نعم يا بابا .

ـ أحضر الأنبوبة التى بالداخل واحملها لشقة الدكتور (ياسين) .

وذهب (أكرم) لتنفيذ الأمر على الفور وغاب فى الداخل وأنا أقف مكانى معترضًا :

ـ لا .. لا أريد أى ...

قاطعنى الأب قائلاً :

ـ إنها هدية منا على كرمك الزائد معنا .

خرج (أكرم) حاملاً الأنبوبة ، فقال له الأب وهو يشير للأنبوبة التى حملتها من شقتى :

ـ واحمل هذه أيضًا إلى شقة الدكتور .

قلت له :

ـ لا عليك .. سوف أحملها .

ـ لا والله .. ابنى (أكرم) سيحمل الاثنين .

رأيت (أكرم) البطل يحمل الأنبوبة على كتفه الأيمن وساعده الأب ليحمل الأنبوبة الأخرى على كتفه الأيسر .

ما شاء الله .. رجال مصر بخير .

صعد (أكرم) أمامى إلى شقتى .. كان منظره وهو يحمل الأنبوبتين على كتفيه مضحكًا .. الغريب أنه كان يحملهما من دون أدنى شعور بالتعب .

عندما وصلنا لشقتى ساعدته فى إنزالهما ثم شكرته .. فقال لى عارضًا خدماته :

ـ هل عندك أى شىء تريد نقله ؟ أو أى شىء تريد أن ..

قاطعته قائلاً وعلى وجهى ابتسامة لطيفة :

ـ لا .. شكرًا يا (أكرم) .. عندما أفكر فى نقل الأثاث سأخبرك .

ثم تأملت بنيانه القوى .. هذا البطل تنبت له عضله كل دقيقة ونصف .

بعد خروج (أكرم) ..

تأملت الأختين الحلوتين .. الآن صار لدىَّ أنبوبتان .. أنبوبتى وأنبوبة هدية من الجيران .

قررت التخلص من واحدة فجاءتنى أخرى .. يبدو أن الاختناق بالغاز صار وشيكًا .

ثم تذكرت جارنا (مرسى) ..

ذلك الرجل دائمًا يستعير أنبوبتى .. أشعر أنه فى احتياج لأنبوبة دائمًا .

أعتقد أنه سيوافق على الفور بأخذ واحدة ..

بل ربما يأخذ الاثنين معًا .. لأنام هذه الليلة مرتاح البال .

* * *

ـ كيف حالك يا دكتور ؟

ـ كيف حالك يا (مرسى) ؟

ـ تفضل يا دكتور .

ـ لا .. تفضل أنت عندى .

ـ لماذا ؟

ـ فى الواقع .. سوف أسافر يومين للبلد .. ولن أحتاج أنبوبة البوتوجاز فقررت أن أعطيها لك .. وعند رجوعى سوف آتى لآخذها .

ـ لا بأس يا دكتور .. وأين هى ؟

ـ فى الشقة عندى .. خشيت أن ترفض مطلبى فأضطر للنزول بها من جديد .

ـ حسنًا .. سآتى معك لأحملها .

ـ ولكنها ليست واحدة .

ما الذى تعنيه ؟

ـ إنهما اثنتان .. أنبوبتان .

صمت (مرسى) للحظات ثم ابتسم قائلاً :

ـ فهمت قصدك يا دكتور .. أن تلمح لى بأنى استعرت منك الأنبوبة مرتين ولكن بطريقة مهذبة حتى لا تجرح مشاعرى .

ـ لا .. لا أقصد هذا أبدًا .

ـ لا يا دكتور .. لا تنكر هذه الحقيقة .. لقد استعرت منك الأنبوبة مرارًا .. وأنت بأسلوبك المهذب تريد تذكيرى بهذه الحقيقة .. وكنت تقول أن لديك انبوبتين .. وربما تقول أن لديك ثلاثًا وأربعًا وخمسًا .. لتذكرنى أنى استعرتها منك كثيرًا .

ـ نعم .. استعرتها منى كثيرًا ، ولكنى لم أقصد التلميح إلى ذلك .. وأنا بالفعل لدىَّ أنبوبتـ ...

قاطعنى قائلاً :

ـ ثوانىَ يا دكتور .. وسأعود لك .

ودخل إلى شقته .. لا أعلم ما الذى يفكر فيه .

عاد بعد قليل يحمل أنبوبة بوتوجاز وهو يقول :

ـ تفضل هذه يا دكتور .. يبدو أن أنبوبتك قد فرغت وتريد واحدة .. ومحرج فى الطلب .

قلت معترضًا وقد صدمتنى مجريات الأمور :

- لا يا (مرسى) .. صدقنى .. إن الموضوع ليس ...

قاطعنى قائلاً :

- لا تقلق .. سأحملها إلى شقتك .

- ولكن ..

- أنت أفضل جار يا دكتور .. لقد ساعدتنى كثيرًا وحان الوقت لأرد الجميل ..

قلت وأنا لا أصدق أن أنبوبة ثالثة فى طريقها إلى شقتى .. ألا يكفينى وجود الأختين العزيزتين هناك ؟

- الجيران لبعضها يا (مرسى) .. وأنا بالفعل لا أريد أى ...

- كرمك هذا يحرجنا دائمًا يا دكتور .

وصمم على إنزال الأنبوبة إلى شقتى .

هبطت معه لأريه الأنبوبتين .. لأثبت له صدق حديثى .. ولكنه للأسف لم ينتظر .. صعد على الفور إلى شقته بمجرد إنزال الأنبوبة .

صار لدىّ الآن ثلاث أنابيب بوتوجاز .

لابد أن أتوقف عن محاولة التخلص منهم وإلا صارت أنابيب العمارة كلها عندى .. وبحسبة بسيطة .. وجدت أن عدد الأنابيب وقتها سيكون كبيرًا جدًا .

هل أبيت هنا ، وقد تكاثرت الأنابيب حولى ؟

لا ..

أين أذهب ؟ ربما لو ذهبت إلى فندق أموت هناك أيضًا .. إن الموت ينتظرنى فى مكان معين ولن يفلح الهرب منه أبدًا .. وأى مكان أذهب إليه ربما هو المكان المحدد لموتى .

قررت الاستسلام و جلست فى الصالة أشاهد التلفاز ..

خطرت لى فكرة .. هل أشترى أسطوانة أكسجين تحسبًا للظروف ؟ لو حدث تسرب غاز مثلاً .

ثم فجأة انتصب شعر جسدى .. عندما شعرت بحركة تحدث خلفى ..

شىء ما يتحرك خلفى ..

أنا أسمع صوت خطواته .. أرى شكلاً ضبابيًا على شاشة التلفاز أمامى .. شاشة التلفاز ليست مرآة جيدة خاصة إذا كانت تعرض فيلمًا .

انه إنسان .. رجل غالبًا ولكنى لا أستطيع تمييز وجهه .. أعتقد أنه طباخ الأحلام جاء لينفذ مهمته .. ما الذى أفعله الآن ؟ كيف أتصرف ؟

سأنتظر اقترابه أكثر لأفاجئه ..

لو أظلمت الشاشة الآن .. أو عرضت مشهدًا مظلمًا فسوف أراه بوضوح .

لكن الشاشة لم تعرض ما تمنيته .. بل عرضت مشهدًا نهاريًا أضاع كل ما كنت أراه حتى الصورة الضبابية .. لم يبق أمامى سوى حل واحد .

ضغطة بسيطة على زر الريموت و ...

إطفاء

رأيته على الشاشة ..

كان خلفى مباشرة وكان يحمل منديلاً فى يديه ..

استدرت بسرعة ولكنه كان أسرع منى

وضع المنديل على وجهى ..

ولكنى رأيت وجهه جيدًا ..

كان آخر شخص يخطر على بالى ..

لقد كان ..

وأظلمت الدنيا أمامى ..

و ...

* * *

فتحت عينىَّ ..

وجدت فمى مكممًا

أجلس مقيدًا بإحكام إلى المقعد ..

نظرت أمامى وجدته ينقل الأنبوبة الثالثة ويضعها بجوار أختيها أمامى .. نظر لى فعرف أنى استعدت وعيى .. فقال :

ـ يبدو أن نسبة المخدر كانت قليلة .

ضحك وقال :

ـ طبعًا لم تتوقع أن أكون الفاعل .. وهذا خطأك .. ليس خطئى .

حاولت زحزحة القيود .. أو التفوه بكلمة لكنى فشلت فى الاثنين .. سمعته يقول :

ـ لا تحاول .. لن تنجح .. ستموت بعد قليل فى هدوء .. أمامك ثلاث أنابيب غاز ممتلئة .. ستموت فى وقت قياسى ولقد أحكمت غلق جميع النوافذ والأبواب .. لن تخرج رائحة الغاز من شقتك إلا بعد موتك بساعات .. لقد تأكدت من كل شىء .. الشىء الوحيد الذى أخطأت فيه هو كمية المخدر التى وضعتها فى المنديل .. يبدو أنها كانت قليلة .. ولكنى سأعالج هذا الخطأ الآن .

حاولت من جديد التخلص من القيود فسقطت بالمقعد .. تحمل كتفى ألم السقوط الجانبى .

تقدم ناحيتى وهو يبتسم ابتسامة شيطانية :

ـ لا .. لا تفعل هذا يا دكتور .. سوف تحطم رقبتك وتموت .. وأنا لا أريد هذا .. لابد أن تموت كما جاء فى الحلم .. مختنقًا بالغاز .

و عاوننى على النهوض بالمقعد .. وعدت لوضعى السابق .. سمع همهمتى فقال :

ـ أعرف ما تريد قوله .. تريد أن تسألنى عن دوافعى لفعل ذلك .. سأخبرك بالدافع .. أنا أفعل ذلك لأحقق العدالة .. العدالة الغائبة عن زمننا .. هل ترضيك هذه الإجابة ؟ سأتصرف الآن و ...

أخرج منديلاً من جيبه وقال ..

ـ هذه المرة سأكثر من المخدر .. حتى تغيب عن الوعى .. وتموت فى هدوء .

أخرج زجاجة و وضع المنديل عليها ثم قلبها وقال :

أفعل هذا حتى أتأكد أنك لن تحاول التخلص من قيودك أو تصدر أى ضجة تقلق بها جيرانك .

انتهى من عمله ثم وضع الزجاجة فى جيبه ثم اتجه إلى الأنابيب وقال :

ـ ثلاث أنابيب مرة واحدة .. لقد خدمتنى جدًا .. هذا يضمن لى نجاح الأمر والموت السريع لك .

وفتح الأنبوبة الأولى .. وقال :

ـ ليس هناك أى أمل فى النجاة يا دكتور .. فلا تشغل عقلك بالتفكير .

فتح الأنبوبة الثانية وقال :

ـ هل تريد منى أى شىء ؟.. وتأكد أنى لن أنفذه لك .. لأنك لا تستحق .

وفتح الأنبوبة الثالثة ثم نظر لى بوجه صارم وقال بكل قسوة :

ـ إن ما تستحقه هو الموت .. عقابًا على جريمتك .

ثم وضع المنديل المخدر على أنفى و ...

أظلمت الدنيا أمام عينى وأنا لا أعلم هل سأفتحها مرة أخرى فى هذا العالم ؟

أم سأكون فى عالم آخر ؟

* * *

15 ـ كوابيس قاتلة ..

فتحت عينى رأيت وجه السيدة (ماجدة) ..

هل أصبحت ميتًا ؟

هل أصبحت أرى الأموات ؟

سمعتها تقول :

ـ الحمد لله أنك بخير يا دكتور .

نظرت حولى .. هذه شقتى .. هؤلاء جيرانى يقفون مذعورين .. قلقين علىّ .

وجه السيدة (ماجدة) من جديد .

أموات .. مع أحياء .

هل أهلوس ؟

سمعتها تقول بهدوء :

ـ أنا (ماجدة) يا دكتور .

ـ أنا أعلم أنك (ماجدة) .. هل سمعتنى أقول أنك (مدحت) ؟

نهضت من مكانى على الأرض ونظرت للوسادة التى كنت أضع رأسى عليها .. وجدتها سيقان السيدة (ماجدة) .. ما هذا الموقف المحرج ؟

وقفت .. فنهضت هى الأخرى فقلت لها مندهشًا :

ـ أنتِ ميتة .

سمعت الجيران حولى يثرثرون .. ويصدرون أصواتًا عجيبة .. بالتأكيد يلومونني على فظاظتى و أسلوبى الخشن معها .. ولكنها الحقيقة .. هى ميتة .

قالت لى بهدوء :

ـ لست ميتة .. لقد كانت خطة بالتعاون مع الشرطة للإيقاع بالمجرم .

ـ أيعنى هذا أنك لم تموتى مسمومة ؟

ـ لا .. كان الطعام مسمومًا بالفعل .. ولكننا لم نعرف من الجانى فقررنا إيهام الجميع بأننى مت ليبدأ المجرم فى تنفيذ جريمته التالية .. وانتظرنا موتك .

ـ أهذا يعنى أنى كنت الطُعم لاصطياد المجرم ؟

ابتسمت وقالت :

ـ شىء كهذا .

ـ وهل جارتك مشتركة معكم فى هذا المخطط ؟

ـ طبعًا .. واستمتعت به كثيرًا .. أنت تعلم أنها تحب المزاح ...

قاطعتها قائلاً :

ـ نعم .. أكثر من الطعام نفسه .

تلقيت التهانى من الجيران على نجاتى من الموت .. وبعد خروجهم جميعًا سألتها :

ـ هل قبضوا عليه ؟

ـ أعتقد ذلك .

ـ تعتقدى !.. ما الذى حدث هنا بالضبط ؟

ـ كنت أراقبك ورأيته يدخل شقتك .. انتظرت حتى خروجه وصعدت لأنقذك .. طبعًا لم أستطع تحطيم الباب .. جيرانك ساعدونى كثيرًا فى هذا .. دخلنا وأنقذناك من الموت ولكنى أتعجب فعلاً .. كيف أحضر ذلك المجرم ثلاث أنابيب إلى شقتك ؟

ـ لم يحضر شيئًا معه .. كانوا هنا قبل مجيئه .. أو ربما دخل شقتى أثناء ذهابى للجيران وإحضارهم الأنابيب لى .. لا أتذكر هل تركت الباب مواربًا وقتها أم أغلقته ورائى ؟

سمعتها تضحك ضحكة عالية وقالت :

ـ هل أحضرت أنابيب إضافية إلى شقتك وأنت تعلم جيدًا أنك ستموت مختنقًا من الغاز ؟ هل كنت تنوى الانتحار يا دكتور ؟ أم تسهل الأمر على القاتل ؟ تصرفاتك أصبحت عجيبة فعلاً يا دكتور .. مرة تصدم خطيبتك ومرة تـ ...

قاطعتها قائلاً :

ـ من الذى أخبرك بموضوع حادث خطيبتى ولا تقولى أنك حلمت به ؟

ـ نعم .. حلمت به .. رأيتك وأنت تصدمها بالسيارة .. أمازلت لا تصدق أحلامى يا دكتور ؟

ـ معك حق .. يجب أن أصدقها .. أنت حية وأنا حى .. أنت حلمت بذلك فعلاً .

نظرت لى غاضبة وقالت :

ـ لقد أنقذتك من الموت يا دكتور .. المفروض أن تشكرنى .

ـ شكرًا جزيلاً .. ولكن : أين هو الآن ؟

ـ من ؟

ـ المحامى (راجى عكاشة) .. منفذ العدالة .

نعم .. المحامى (راجى عكاشة) هو محقق الأحلام هذه المرة .. أو بمعنى أدق منفذ العدالة .. لقد صور له عقله المريض أننا المجرمون وموكله هو البرىء الضحية .. وقرر تنفيذ العدالة بقتل جميع المتآمرين .. والمتآمرون هم الشهود الذى شهدوا ضد موكله .. وكانت أولى ضحايا مهمته السيدة (نرجس) والثانية هى السيدة (ماجدة) ولكنها نجت من الموت والثالث الدكتور (ياسين العوضى) ولكنه نجا من الموت أيضًا ، ولكن من الرابع ؟

من ؟

نزلت مسرعًا لبائع الجرائد واشتريت العدد الجديد من الجريدة .. وقلبت الصفحات بسرعة لأصل للصفحة المقصودة .. و قرأت الخلم .

وعرفت الشاهد الرابع .. أو الضحية الرابعة التى ستموت على يد منفذ العدالة .

قالت لى السيدة (ماجدة) وهى تشدنى :

ـ لا تقلق .. سوف يقبضون عليه .. الشرطة تعرف مكتبه جيدًا ولقد أبلغتهم بكل شىء .

ـ ومن قال أنه لن يرتكب جريمة أخرى قبل عودته إلى مكتبه ؟

ـ لا تقلق .. لن ينفذ جريمتين فى ليلة واحدة .

ـ أنا لست مطمئن .. لابد أن أذهب لإنقاذها .

ـ لن أتركك .

صحت مندهشًا :

ـ ما الذى تقولينه ؟ هل تدركين خطورة الموقف ؟ هناك جريمة ستحدث ، ولابد من منعها .. هل تعلمين من التى ستموت ؟

ورفعت الجريدة فى وجهها لتقرأ ..

* * *

أحلام خلف القضبان (138)

حلمت بموت جارتنا .. السيدة (ح) .. حلمت بموتها مطعونة بسكين .....

* * *

قالت لى ببساطة :

ـ نعم .. أعلم .

صحت مندهشًا :

ـ ماذا ؟ كيف ؟

ـ لقد حلمت بها ؟

ـ أحلام .. مرة أخرى !

ـ لماذا لا تصدقنى ؟!

ـ لقد اكتفيت من أحلامك .. وسوف أذهب لإنقاذها .

ـ لا تقلق عليها .. ستنجو .

ـ ما الذى يجعلك متأكدة هكذا ؟

ـ الأحلام .. أحلامى تتحقق يا دكتور .. وأحيانًا عندما نحاول تغييرها تأتى بنتيجة أخرى لا نضمنها .

ـ أنا لم أقرأ فى مذكراتك أى حلم عن جارتك .. هل كان هذا فى الصفحات المنزوعة ؟

ـ لا .. الصفحات المنزوعة كانت عن حلمك فقط .. ولقد نزعتها حتى لا تعرف حلم موتك طالما أنك كنت مُصرًا على عدم معرفته .. ولقد سعدت عندما علمت أنك طلبت من جارتى أن تحكى لك الحلم .. هذا يعنى أنك أصبحت تصدق أحلا ....

قاطعتها قائلاً :

ـ سواء أصدقها أو لا .. لم يكن فى مذكراتكِ حلم عن جارتكِ .

قالت وعلى شفتيها ابتسامة خبيثة :

ـ لا .. كان هناك .. هل تتذكر حلم موت المحامى ؟

* * *

كان كابوسًا جميلاً .. كانت هناك امرأة تطبخ .. تسلل هو من ورائها و فجأة يفقد توازنه فيسقط من النافذة .. يطير جسده فى الهواء .. أسمع صراخه ثم يصطدم بالأرض .

لأول مرة أرى طباخة وليس طباخًا .. ربما كانت زوجته ودخل المطبخ ليداعبها فطوحت بالسكينة فى وجهه فخاف منها .. فسقط من النافذة .

ثم ..

السقوط من أعلى

يا له من حلم جميل و يا لها من ميتة مناسبة .. بصراحة لم أفكر فى موته بهذه الطريقة .. كانت لدىَّ طريقة أشنع .

* * *

قلت لها :

ـ نعم .. أتذكره .

ـ هذا هو الحلم الذى رأيتها فيه .. جارتى هى المرأة التى تطبخ .. وهو سيذهب لقتلها وسيموت هناك .. سيسقط من النافذة .

ـ ولكنك لم تذكرى أنها جارتكِ .

ـ لأنى كنت أعلم أنها تقرأ هذه المذكرات .

ـ هل يعنى هذا أنكِ كنتِ تعلمين أن المحامى هو محقق الأحلام طيلة هذه المدة ؟

ـ لا .. لم أفكر فى هذا .. لقد كنت سعيدة برؤيته يموت .. لقد تمنيت هذا كثيرًا .

قلت لها بعناد :

ـ سوف أذهب لإنقاذها ولأمنعه من قذف نفسه من النافذة .. لابد أن ينال عقابه بالقانون .. ليعرف أنه مجرم وليس منفذًا للعدالة .

ـ ولهذا سأمنعك .. لأنى أعلم أنك بارع فى الإقناع .. لقد رأيتك بنفسى وأنت تمنع رجلاً من الانتحار رغم محاولة الجميع معه قبلك(*).. وأنا أريد له الموت .. دع الأمور تسير كما رأيتها فى الحلم .

ـ لا

(*) تقصد المهندس (عزت البدرى) .. راجع حالة الحاسة السادسة العدد رقم (1)

- أرجوك .. فكر فى الأمر .. ربما تدخلنا يعكس الأمور .. ربما يقتلها ويظل هو حيًا بعد إقناعك له بعدم الانتحار .

- لن تمنعينى بهذه الافتراضات الخيالية .

وتركتها وأسرعت لأركب سيارتى الموجودة على الناحية الأخرى من الرصيف

هرعت ورائى محاولة منعى .. لم أنظر خلفى .. كنت أسابق الزمن .. هل سأستطيع إنقاذ السيدة (حسناء) ؟ هل سأستطيع منع المحامى من الانتحار ؟

ركبت سيارتى ..

رأيت السيدة (ماجدة) تسرع نحو سيارتى دون أن تنتبه إلى كونها تعبر الطريق فى نفس اللحظة ..

ورأيت سيارة مسرعة تتجه نحوها .

السيدة (ماجدة) تجرى ناحيتى دون أن تنتبه للسيارات .. أسمعها تقول :

- انتظر يا دكتور .

السيارة المسرعة تصدمها أمام عينى ..

فى نفس اللحظة تقريبًا ...

كان المجرم يقف على الإفريز بالخارج أمام نافذة مطبخ السيدة (حسناء) ..

يراها واقفة فى المطبخ تعد العشاء لأولادها .. أطفأت البوتوجاز .. ثم أطفأت مصباح المطبخ وخرجت ..

الآن الفرصة سانحة لدخول المطبخ من النافذة ..

وفى المرة القادمة التى ستدخل فيها السيدة (حسناء) المطبخ ستجد القاتل فى انتظارها .. وفى يده السكين لينفذ الحلم الأخير .

* * *

16 ـ نهاية الأحلام ..

المكان : عيادتى

أجلس أمام مكتبى وأحاول استيعاب ما حدث فى تلك الليلة الطويلة ..

الفراشة السوداء كانت مصرة على منعى من إنقاذ جارتها .. ليس كرهًا لها .. بالعكس .. كانت تحبها .. ولكنها كانت تكره المحامى جدًا جدًا .. كانت ترى أن تدخلى سيفسد الأمر .. كانت تريد أن يموت المحامى .. كما رأت فى حلمها بالضبط ..

السقوط من أعلى .

ولقد دفعت الثمن من أجل تحقيق ذلك .

صدمتها سيارة مسرعة وهى تجرى نحوى ..

نقلتها على الفور إلى المستشفى ..

سيدة الأحلام ترقد الآن على أحد الأسرة .. غائبة عن عالمنا .. لقد سقطت فى غيبوبة عميقة .. الله وحده يعلم متى ستخرج منها .

أما جارتها (حسناء) ..

فى تلك الليلة .. كانت تطبخ بهدوء شديد دون أن تدرى أن هناك قاتلاً ينوى التسلل إلى مطبخها عن طريق النافذة .. ثم يقتلها ببرود أعصاب معتقدًا أنه بذلك يحقق العدالة على الأرض .

أمثلة الأبطال المحامين الذين ينفذون العدالة بأيديهم موجودة فى الأدب العربى والغربى والسينما الأمريكية .. لكنى لم أتوقع أن يخرج هذا من حيز الخيال إلى أرض الواقع .

ما الذى حدث هناك ؟ سأخبركم .. حسب تصورى وحسب رواية الشهود .

كان يقف القاتل بالخارج منتظرًا خروج السيدة (حسناء) من المطبخ .. وبالفعل خرجت ولكنها عادت من جديد فلم يجد الوقت الكافى للدخول .. وظل واقفًا بالخارج .

ما حدث هو أنه شم رائحة كريهة جدًا جدًا .. ويرجح الكثير أنها منبعثة من دورة المياه بمنزل السيدة (حسناء) .. حيث كان أحد أطفالها هناك فى نفس اللحظة .. ولأن الرائحة كانت كريهة جدًا جدًا أخرج القاتل منديله من جيبه ليسد أنفه ويمنع الرائحة الكريهة من التسلل إليها .. وكان هذا هو الخطأ الذى دفع حياته ثمنًا له .

سقط من مكانه وطار جسده فى الهواء للحظات قبل أن يصل إلى الأرض ليصبح جثة هامدة وفى يده منديل .. ذلك المنديل الذى وضع به المخدر .. إن الغباء يقتل أحيانًا .

وخرج الطفل البرىء من دورة المياه .. لا يعلم أنه أنقذ والدته من موت محقق .

أو من كابوس قاتل .

وهذا يعنى أن حلم السيدة (ماجدة) الخاص بمقتل المحامى قد تحقق بالفعل .. لقد سقط من أعلى .. هل يعنى هذا أن أحلامها تتحقق ؟ أم يعنى أن بعض أحلامها تتحقق ؟

ثم تذكرت شيئًا ما .. فتحت درجى و أخرجت المظروف ..

ذلك المظروف الذى كتبت عليه السيدة (ماجدة) .. (لا يُفتح إلا بعد وفاتى) .

هى الآن فى غيبوبة عميقة .. لم تمت .. ولكنى سأقرؤه .. لقد ادعت موتها يومًا ما .. كان يجب أن أقرؤه من يومها .. لقد تأجل فتحه كثيرًا .

أخرجت الورقة التى بداخله وقرأت ما بها .. توقعت أن أجد حديثًا عن الموت مسمومة .. كما جاء فى حلمها الذى يعلمه الجميع .

ولكنى فوجئت بكلمات جعلت شعر جسدى ينتصب .. كان مكتوبًا فى الورقة ..

ستصدمنى سيارة أمام عينيك

أسقط بعدها فى غيبوبة عميقة تنتهى بموتى

الوداع

أحبك يا دكتور

وضعت الورقة فى المظروف وأنا متأكد أن الزمن سيجيب عن كل الأسئلة المحيرة التى تجتاح رأسى .

* * *

المكان : الجنة التى تسكنها أميرتى

أجلس مع أميرتى فى الصالون .. أقول لها ضاحكًا :

ـ الحمد لله .. لقد سارت الأمور هذه المرة بخير دون أن تتأذى .

سألتنى أميرتى مندهشة :

ـ ما الذى تتحدث عنه ؟

ضحكت قائلاً :

ـ لا عليك .. لا تشغلى عقلك الجميل .

ضحكت وقالت :

ـ ما الذى كان يشغلك فى الأيام السابقة ؟ وهل زيارتك لنا اليوم تعنى أن الأمور أصبحت مستقرة ؟

ـ نعم .. مستقرة .

سأكتفى بهذه الإجابة ولن أخبرها شيئًا عن الأمور التى كانت تشغلنى .

أعتقد أن الأمور صارت مستقرة .. سيدة الأحلام فى المستشفى .. أطمئن عليها يوميًا .. هل ستموت و تكون هذه هى نهايتها ؟ هل ستعيش لتثبت لنفسها أن أحلامها لا تتحقق والدليل أن حلم موتها لم يتحقق ؟

أعتقد أن الأمور مستقرة .. لقد مات منفذ الأحلام والذى كان يدخل شقة السيدة (ماجدة) بمفتاح أعطاه له موكله .. ليقرأ مذكراتها ويعرف كل شىء .. كان ينفذ (أحلام خلف القضبان) ولكنه كان يعرف أسرار أكثر عنا من خلال هذه المذكرات .. ومنها السر الخاص بى .. وهذا يعنى أن (أسامة) برىء .. لم

يخبر أحدًا .. السيدة (ماجدة) حلمت بالحادث والمحامى قرأ الحلم .. السر ما زال فى البئر .

قلت لخطيبتى :

ـ الأمور مستقرة جدًا .. ولا يوجد أى شىء يدعو للقلق .

ثم دق جرس الهاتف .. جرس الهاتف عندما دق هنا فى المرات السابقة كان إنذارًا بكارثة فى كل مرة .. لذا قلت :

ـ لا تردى .

ابتسمت (نادين) وقالت ساخرة :

ـ أين ذهب قولك بخصوص (الأمور المستقرة) ؟

قلت مترددًا ومحاولاً رسم ابتسامة واسعة على شفتى :

ـ ردى .. ما الذى يمكن أن يحدث ؟

ولكنها لم ترد .. وتوقف رنين الهاتف .. فابتسمنا معًا .

لم أكن أعلم أن الرنين توقف ؛ لأن والدتها ردت على الهاتف من الداخل ..

ـ آلو ..

ـ آلو .. كيف حالك يا عمتى ؟

ـ أهلاً (أسامة) .. كيف حالك يا بنى ؟

ـ لماذا لم تأتيا لزيارتى كما وعدتمانى ؟

ـ سوف آتى إن شاء الله .. أنا أريد رؤية شقتك الجديدة .

ـ وماذا عن (نادين) ؟

ـ لن تستطيع .

ـ لماذا ؟ ما الأمر ؟ هل بخير ؟

ـ نعم يا ولدى .. بخير ولكن ..

ـ ولكن .. ماذا ؟

ـ خطيبها الدكتور طلب منها ألا تزورك .

ـ لماذا ؟ ألم يعلم أنك سوف تأتين معها ؟

ـ حتى لو كنت معها .. إنه يرفض أن تزورك بأى طريقة .. بل وطلب منها ألا تتحدث معك إذا جئت لزيارتنا .

ـ هكذا .

ـ يبدو أنه يغير منك .

صمت للحظات .. ثم :

ـ لا تغضب يا ولدى .. سوف أجلس معه وأخبره أنك ..

قاطعها قائلاً :

ـ هناك سر يجب أن تعلميه .

ـ سر .. ما هو ؟.. أخبرنى يا ولدى .. لقد أقلقتنى .

صمت للحظات ثم قال :

ـ أنا أعلم من الذى صدم (نادين) بسيارته .

فى نفس اللحظة تقريبًا كنت أقول لـ (نادين) :

ـ أرأيتى ؟ لم يحدث شىء .. لم يخبرنا أحد بأى كارثة أو حوادث تقع الآن .. لم يحدث أى شىء .

وابتسمت لخطيبتى وقلبى يرفرف من السعادة .

* * *

فى العدد القادم .. سوف نتحدث عن حالة .. العدد القادم .. سوف نتحدث عن حالة .. العدد القادم .. سوف نتحدث عن حالة .. حالة ديجافو ..

كلمـــة أخيـــرة : حـالات خاصـة .. مذكرات طبيب نفسى .. يعيش حياته فى صراع دائم من أجل الحفاظ على شرف مهنته .. والحفاظ على حياته .. والأهم .. الحفاظ على سلامة عقله .

كلمة أخيرة : هل رأيت هذا من قبل ؟.. هل سمعت هذا من قبل ؟.. إنها حالة ديجافو Déjà vu .. لا .. أنت مخطئ .. هل رأيت هذا من قبل ؟.. إنها حالة ديجافو .. لا .. أنت مخطئ .. بل إنها حالة ديجافو .. هل سمعت هذا من قبل ؟

ولكن هذه حالة أخرى

حالة خاصة جدًا

جدًا ... جدًا

جدًا

تمت بحمد الله

لمراسلة المؤلف ..

بالبريد الإلكترونى على ..

halat_khasa@yahoo.com

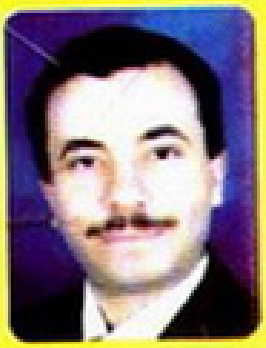

محمد رضا عبد الله

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسي .
يصارع للحفاظ على حياته .
والحفاظ على سلامة عقله .

حالة الفراشة السوداء

السيدة (ماجدة) تحلم .. وأحلامها تتحقق .

ملخص الرواية بالداخل .

عفوًا ..

أقصد .. التفاصيل بالداخل .

العدد القادم

حالة ديجافو

الثمن في مصر 400

وما يعادله بالدولار الأمريكي

في سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالمنصورة والإسكندرية